أبعاد الاغتراب

فلسفة الفن الجميل

تأليف

مجاهد عبدالمنعم مجاهد



الأعمال الكاملة (١٢)

فلسفة الفن الجميل

تأليف
مجاهد عبد المنعم مجاهد

دار الثقافة للنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني - الفجالة
القاهرة ت/ ٩٠٤٦٩٦

« فلســـــفة الفن الجميل »

الاهـــــــداء :

الى فنـــان القصـة القصيرة :

بدر نشات

صديقا لى وصديقا للفن الجميل :

مجاهد عبد المنعم مجاهد

« ان الفن يجعل كل نتاج من نتاجاته الالـه آرجوس ذا الألف عين حيث تشاهد النفس الباطنية والروح فى كل موضع »

(فريدريك هيجل)

« تصدق قولة هيرقليطس : (ان الشمس جديدة كل نهار) على شمس الفنان ان لم تصدق على شمس العـالم » .

(ارنست كاسيرر)

تصـدير

طوال تاريخ علم الجمال وهناك صراع جدلى بين تيارين : تيار يربط الفن والجمال بالانسـان حيث يرى أن الفن صنـاعة انسانية يصنعها الانسان عن الانسان لأجل مجد الانسان ، وتيار يغرم بطرح القضايا الفنية والتكنيك فى معزل عن الانسان دون أن يهتم برسالة الفن أو تاسيس الجمال على أساس أن الانسـان هو صانع الفن لنفسه .. الأول هوتيار الفلاسفة الانسانيين .. والتيار الثانى تيار الفلاسفة الحرفيين (الأسطوات) التائهين فى جزئيات اللغة وجماليات الصورة الشكلية والتقنيات . وهم بهذا يحرفون رسالة الفن أكثر مما هى منحرفة فى القرن العشرين .

وطوال تاريخ علم الجمال وهناك صراع بين اتجاهين من ناحية المنهج الذى يتبع فى دراسة الظواهر الفنية والجمالية .. الاتجـاه الأول يعتمد المنهج السيكولوجى أو المنهج الاجتمـاعى فيحول الظاهرة الفنية من حيث هى ظاهرة نوعية الى مجـرد انعكاس آلى لحياة الفنان ملغيا بهذا حرية الفنان فى اختياراته واتخاذا لرسالته .. أو ان يكون الفن انعكاساً للواقع الاجتمـاعى بحيث ياتى الفن انعكاسا آليا بحيث تلغى أيضا حرية الفنـان. وأنه ليس عاملا فى تغيير المجتمع .. أو دراسة المجتمع وتبين كيف انعكس هذا فى العمل الفنى وتحول الفن بهذا من حيث هو ظاهرة جمالية الى وثيقة اجتماعية وتاريخية ملغيا أن الفن والجمال موجه الى كل العصور .

اما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه الفلسفى الذى قد يعتمد على المنهج الاستقرائى من خلال تامل النصوص الادبية والأعمال الفنية استخلاصا للقانون العام لكنه لا يترك للنصوص بكل ما فيها من أصالة فنية أو وانتاج زائف تعوقه عن استخلاص قانون يفرض على الأعمال الفنية .. وهذا هو الموقف السليم .. ولهذا قال الفيلسوف الالمانى فريدريك هيجل ان علم الجمال هو فلسفة للفن الجميل .. وهذا يعنى ان يبذل علم الجمال جهده لكى يضع حدا فاصلا بين الفنون التطبيقية او ما قد يتسلل من فن زائف ضمن الفنون من جهة وبين الفن الجميل الذى هو نتاج الروح ويريد أن يحرر الانسان من جهة أخرى ..

ان الفن فرح .. بل أكبر فرح يمكن أن ينتجه الانسان ويمنحه لنفسه فاذا كان الانسان ينتج للحاجة الا انه ينتج أيضا للجمال .

فهل ادرك كل فلاسفة الجمال " [illegible] فرح وانه تحرير للانسان من أجل أن يتأسس الانسان قهرا لاغترابه وانفصاله والوقوع فى اسر الأشياء ؟ ان الدراسات الراهنة اختارت اثنى عشر مفكرا وفيلسوفا تتبين من خلالهم كيف تصوروا الفن من خلال بعد جدلى مع قضية أخرى وجرى اختيار هذا البعد على نحو مختلف عند كل فيلسوف فجرت دراسة الفن فى علاقته الجدلية مع كل من الواقع والانسان والاغتراب واللعب والرمز

واللاشعور والشمولية والحقيقه والمستقبل والتاريخ والعبث والالتزام يبقى الخيط الجدلى مشدودا اذا ظلت عيننا على الانسان وينقطع الخيط الجدلى اذا ظلت عيننا على الأشياء وفى هذه الحالة نفقد البوصلة الجمالية التى توصل الى فهم حقيقى للانسان .

وتنجح النظرية الجمالية اذا تأكدت من أن الفن ليس تعبيرا عن الواقع والا دخل فى رق الأشياء وتفشل النظرية اذا وقعت اسيرة الواقع الجزئى والحسى والمباشر .. فرسالة علم الجمال وفلسفة الفن هى أنه بدل السير من الأشياء الى الانسان لابد من السير من الانسان الى الأشياء حتى يمكن أن نرى الأشياء فى ضوء انسانى فنؤسس الفن الحقيقى ونؤسس الانسان وذلك بالكشف عن الجوهرى فى الفن والانسان على السواء وندرك أن ماهية الفن هى فن الماهية تحريرا للانسان وقضاء على اغترابه .

مدينة المقطم **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

أفلاطون :

جـدل الفـن والواقع

افلاطون : لوحة خارجية :

(حوالى ٤٢٨ ق٠م ـ ٣٤٧ ق٠م) ٠

ـ فيلسوف يونانى ولد فى اثينا وكان تلميذا لسقراط تعلم منه فن الجدل وأسس اكاديمية للفلسفة تخرج منها الفيلســـوف الشهير أرسطو ٠

ـ تقوم فلسفته على أساس نظرية المثـل حيث أن الأشياء المتشابهة تشترك فى صفات كلية هى جواهر الأشياء وهى تشكل هذه المثل وفلسفته هى محاولة للصول الى جوهر الأمور من خلال ما هو عرضى وحسى وجزئى وظنى ٠

المؤلفات الجمالية

ايـــون

الجمهورية

جورجياس

الدفاع

السوفسطائى

السياسى

طيماوس

فايدروس

فيلبوس

كريتياس

المأدبة

النواميس

هيبياس الأكبر

« ان الشعراء هم آباؤنا وموجهونا فى الحكمة » هذا ما يقوله افلاطون تلخيصا لجوهر نظريته الجمالية وفهمه لطبيعة العمل الفنى .. فلما كانت الحكمة مصاحبة بالعقل وكانت الحكمة بحثا عن الجوهري والكلى والعقلى فان الفن عليه أن يتخلص من العرضى والجزئى والحسى والواقعى حتى يستطيع أن يؤدى رسالته بتوجيه النفوس نحو الحكمة تاسيسا للدولة الحقيقية . وعلى هذا يريد أفلاطون فنا حسرا كما يريد فنـا تكون الأشـياء والموضوعات فيه حرة حرية مطلقة لا نسبية .

ان الفن عند افلاطون محاكاة . فهل هو محاكاة للواقـع الخارجى ؟ لو سلمنا بهذا يكون افلاطون متناقضا بالنسبة لرسالة الفن التى حددها ولهذا فانه يندد بالمحاكاة المنحصرة فى نقـل الواقع الجزئى والحسى والعرضى .. ويقولها صراحة .. « الفن المحاكى شىء منحط » ويرى أن المحاكاة بهذا المعنى هى شحاذه تزف الى شحاذ بطريقة مهينة .. والمحـاكاة التى لا تتفق مع معرفة طبيعة الشىء لا يمكن أن تكون لها قيمة ذلك أن الشـاعر المحاكى لن يكون حرا بل سيكون عبدا للواقع كما أنه لا يخاطب المبدأ العاقل فى النفس وهو غير قادر على استخدام موهبته استخداما حقيقيا . وهذا المحاكى المباشر صانع الصورة المبـاشرة لا يعرف شيئا عن الوجود الحقيقى ، وهو لا يعرف الا المظهر فحسب والمحاكاة بهـذا تكون نوعا من خلـق الصور لا الأشـياء الحقيقة . وبنص افلاطون على أنه سيسمى المحاكاة التى تتعايش

مع الرأى محاكاة للمظهر • وعلى هذا فلا مكان للشاعر المحاكى للعالم الخارجى فى الدولة الفاضلة ، وعلينا ان نكرمه ونتوج رأسه بالأكاليل ونشيعه حتى حدود المدينة ونطرده منها لأنه لا يعتمد على العقل ولا يجسد ما هو حقيقى ••

لكن للمحاكاة معنى آخر •• فقد تكون محاكاة للحقيقة وللجوهرى وللكلى وللعقلانى وهنا نكون فى أرض الفن الحقيقية • وهذا النوع من المحاكاة الذى يتعايش مع العلم والمعرفة يسميه أفلاطون محاكاة علميةأو مثقفة•ويقول فىمحاورة (السوفسطائى) انه لابد أن تكون هناك محاكاة حقة لا زائفة وان أولئك الذين يبحثون عن أفضل انواع الغناء والموسيقى يجب الا يبحثوا عما هو سار بل عما هو حقيقى • واننا نستهدف أن نستخدم لصالح صحة نفوسنا الشاعر الأكثر خشونة وصلابة أو القصاص الأكثر خشونة وصلابه الذى يماكى أسلوب ما هو فاضل فقط ويتبع النماذج • وان الفنان المصور يرسم صورا فى روح الأشياء التى يطرحها •

ان الفن مرتبط بالحقيقة اى أن الفن عودة الى الصراط المستقيم •• فبعد الانحراف مع الهوى والظن والخداع نرتد فى الفن الى الحقيقى الصادق •• اننا قد ننحرف مع الجور والظلم لكننا مع الفن نرتد الى العدل والمساواة لأننا نرتد الى الحق والصدق وعلى هذا ففى كل محاكاة سواء فى الرسم أو الموسيقى

او أى فن آخر ان من يكون قاضيا عادلا يجب أن تتوفر له ثلاثة أشياء : يجب أن يعرف أولا ما هية المحاكاة وثانيا يجب أن يعرف أنها حسنة وثالثا أنه جرى تنفيذها فى كلمات وأنغام وايقـــاعات .
ان افلاطون بهذا يربط بين الفن والعدل،ويربط بين الفن والمعرفة ويربط بين الفن والدراية النظرية من جانب الفنان بأدواته الفنية والجمالية .. وفوق كل شيء ان على الفنان أن يعرف رسالته وافلاطون ينص على ضرورة أن يوجد شيء جديد فى المحاكاة وهذا يعنى أن الفن ليس نقلا للواقع ولهذا لا مجال لواقعية فى الفن وأن للفن رسالة أخرى هى بث الوعى وتغيير افق المتلقى وتبديل عواطفه وانفعالاته الفجة « وكما أن الحديد يطوع بالنار كذلك العواطف تتناغم بالتطبيق الملائم للتناغمات » .

المراجــع

١ ـ افلاطون :

الجمهورية

(ترجمة : فؤاد زكريا) .

١ ـ أفلاطون :

فايدروس

(ترجمة : أميرة حلمي مطر)

٣ ـ أفلاطون :

محاورات أفلاطون

(ترجمة : زكى نجيب محمود)

٤ ـ أميرة حلمى مطر :

فلسفة الجمال

٥ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

جدل الجمال والاغتراب

٦ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

دراسات فى علم الجمال

٧ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة
٨ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
موسوعة علم الجمال

Gilbert And Kahn :
History of Esthetics.

Nahm :
Readings In Philosophy of Art And Aesthetics.

Plato :
Hippias Majus.

Plato :
Ion.

ارسطو :

جدل الفن والانسان

ارسطو : لوحة خارجية :

(٣٨٤ ق٠م٠ ــ ٣٢٢ ق٠م٠) ٠

ــ فليسوف يونانى ابن طبيب فى بلاط ملك مقدونيا ٠

ــ درس فى اكاديمية افلاطون لمدة عشرين عاما حتى وفاة أستاذه ٠

ــ انشا اللوقيوم وعرف أتباعه بالمشائين ٠

ــ تقوم فلسفته على الجدل الدائم بين الهيولى والصورة وظهور الامكانيات الغائية فى الوجود الانسانى ٠

المؤلفـــات الجمالية

الاخلاق النيقوماخية ·

التحليلات الأولى

الحيوان

الفيزيقا

الميتافيزيقا

السياسة

فن الشعر

الطوبيقا

الخطابة

« ان عمل الشاعر ليس رواية ما وقع بل ما يجوز وقوعه » .
على هذا النحو حدد أرسطو علاقة الفن بالواقع .. ليس الفن تسجيلا ومحاكاة حرفية لما هو فى الوجود الخارجى ، بل الفن تعبير عن الفعل الانسانى وهذا الفعل الانسانى يكمل الطبيعة ولهذا فان الفن يكمل ما تعجز الطبيعة عن اتمامه .

لكن علينا أن نتذكر تعريف أرسطو للطبيعة حتى نفهم كيف يكمل الفن ما تعجز عنه الطبيعة .. أن الطبيعة هى طاقة تعمل نحو غاية .. اذن على الشاعر أن يحدد غايته ولهذا فان موجه العمل الفنى الفكر لا الشعور .. ولهذا يقول أرسطو .. « ينبغى للشاعر سواء أكان الموضوع الذى يتناوله قديما أم مبتدعا أن يبدأ بتخطيط عام له ثم يفصل قطعه ويمد أطرافه » ..

كما أن الطبيعة فى رأى أرسطو تحب الأضداد وتحدث التناغم من الأضداد لا المتشابهات .. اذن الفن ينبع من الأضداد ومن تصادم الأضداد حتى يحدث بعد هذا التناغم ولهذا فان كل الفن عند أرسطو دراما أو هو مبنى على أساس درامية .. وحتى يحدث هذا التناغم لابد من تبين ما يموت وينقضى وما يتولد منه ويبزغ الى الوجود . يقول أرسطو : « كل الفنون مهتمه بما سياتى أى بكيفية امكانية أن يأتى شىء يكون قادرا على أن يوجد أولا يوجد والذى أصله فى الصانع وليس فى الشىء المصنوع » اذن الفن معنى بالوجود وكيف يبزغ الى حيز الوجود أى كيف

يظهر شىء ويكون قادرا على أن يوجد أولا يوجد والذى يكون أصله الصانع وليس الشىء المصنوع ..

بنفاذ شديد استطاع أرسطو أن يربط بين الفن والعقل .. فجوهر الفن الفعل الذى يكمل ما تعجز عنه الطبيعة والفن بهذا قدرة على العمل ويهتم بابراز ما ياتى الى حيز الوجود من الغايات استنادا الى تصميم العقل .. وعندما جعل ارسطو الفن محاكاة للفعل الانسانى فانه نظر الى المحاكاة من منظورين : منظور طبيعى على أساس أن المحاكاة عامة وغريزية لدى الجميع منذ الصغر ثم ان الالتذاذ بالأشياء المحكية أمر عام للجميع ، ومنظور عقلى من ناحية أن التعلم ليس لذيذا للفلاسفة وحدهم بل لسائر الناس أيضا .

ان المحاكاة اذن هى محاكاة فعل لا محاكاة واقع أو محاكاة خلق أو محاكاة شىء ثابت ولهذا جعل أرسطو التراجيديا محاكاة فعل جليل يمثل الفاعلين وهى ليست محاكاة للأشخاص بل محاكاة للأعمال والحياة والسعادة والشقاء ، والسعادة والشقاء هما فى العمل ، والغاية هى فعل ما وليس كيفية ما . وتتحدد الأفعال كما نص - بالفكر والخلق ..

ولما كان الفن محاكاة للفعل فانه الفعل القائم على الرجحان أو الضرورة ولهذا فان المؤرخ والشاعر لا يختلفان بان ما يرويانه

منظوم أو منثور بل هما يختلفان بان أحدهما يروى ما وقع على حين ان الآخر يروى ما يجوز وقوعه ومن هنا كان الشعر أقرب الى الفلسفة وأسمى مرتبه من التاريخ لأن الشعر أميل الى قول الكليات على حين ان التاريخ أميل الى قول الجزئيات • والكلى هو ما يتفق لصنف من الناس أن يقوله أو يفعله فى حال ما على مقتضى الرجحان أو الضرورة •

ويؤكد أرسطو هذا المعنى مرة أخرى عندما يقول : « ان الشاعر أو الصانع (بؤيتيس) ينبغى أن يكون أولا صانع قصص قبل ان يكون صانع أوزان لأنه يكون شاعرا بسبب ما يحدثه من المحاكاة وهو انما يحاكى الأفعال • واذا اتفق ان صنع شعرا فى أمر من الأمور التى وقعت فان ذلك لا يؤثر فى كونه شاعرا اذ لا شىء يمنع ان بعض الأمور التى وقعت قد جاء متفقا مع قانون الرجحان وقانون الامكان فعلى هذا الاعتبار يكون هو صانعها •

ان ما تعجز عنه الطبيعة وما يكمله الفن ومما يبزغ الى الوجود مما ينقضى ما يجسده الفن من حركة المستقبل وما يقوم عليه من فعل وحركة بكشف عن الامكانيات الغافية فى الانسان ولهذا فان كل الفنون عند أرسطو هى امكانيات وهى مصادر أصلية للتغيير فى شىء آخر أو فى الفنان نفسه باعتباره آخر •

واذا كان الفن تعبيرا عن الامكانيات الغافية فى الانسان فلابد أن تكون عامة ولهذا يجب ان يصطاد الفنان ما هو كلى

لا ما هو جزئى وشاذ ونادر ومن هنا يقول أرسطو : « وينبغى أن يؤثر الشاعر استعمال المستحيل المعقول على استعمال الممكن غير المعقول » أى على الفنان أن يعبر عن المستحيل لكن الذى له امكانية نفسية للتحقق ويبتعد عن الممكن النادر الذى يستحيل أن يتعمم ولهذا فانه فى الصنعة الشعرية ينبغى أن يفضل الشاعر المستحيل المقنع على الممكن غير المقنع ..

ولما كان الفكر هو الموجه الأول للعمل الفنى فان المعرفة والفهم يمتان الى الفن أكثر مما يمتان الى الخبرة لأن الفن يعرف العلة والخبرة لا تعرفها .. ولهذا يرى أرسطو أن الفنانين فى مرتبة ارقى من الخبراء لأن الفنانين يطرحون العلل والأسباب .

لكل هذا فان الفن يبتعد عن الواقع المباشر ويتجاوزه ويتخطاه ويقول أرسطو : « واذا قام النقد على دعوى عدم الانطباق على الواقع والحقيقة فربما يمكن الرد على ذلك بان نقول ان الشاعر انما يصور الأشياء كما يجب أن تكون » .

المراجع

١ ــ أرسطوطاليس :

في الشعر

(ترجمة : شكرى محمد عياد) .

٢ ــ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

دراسات فى علم الجمال

٣ ــ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة

٤ ــ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

موسوعة علم الجمال

5. Aristotle :
Works.

6. Butcher :
Aristotle's Theory of Poetry And Fine Arts.

7. Gilbert And Kuhn :
History of Aesthetics.

8. Hofstadter And Kukns :
Philosophies of Art And Beauty.

9. Nahm :
Readings In Philosophy of Art And Aesthetics.

هيـجل :

جـدل الفن والاغتراب

فريدريك هيجل : لوحة خارجية :

(١٧٧٠ ـ ١٨٣١) ٠

ـ فيلسوف المانى ولد فى شتتجارت درس الفلسفة واللاهوت

ـ قام بالتدريس فىجامعات توبنجن وبينا وهيدرلبرجوبرلين

ـ اشتهر بفلسفته الجدلية التى تبحث عن التناقض فى الوحدة حيث الوحدة مؤقتة والتناقض مطلق وهو الحركة الدائمة فى النفس والواقع والتاريخ ٠

ـ اشتهر بكتابه (ظاهريات العقل الكلى) الذى يحكى فيه قصة الوعى الفردى والانسانى ٠

المؤلفات الجمالية

١٨٠٧ ظاهريات العقل الكلى

١٨١٦ موسوعة العلوم الفلسفية

١٨٣٥ محاضرات حول فلسفة الفن الجميل

يقول هيجل : « ان الحاجة الكلية للفن هى حاجة الانسان العقلية ليرفع العالم الباطنى والخارجى الى وعيه الروحى فى شىء يتبين فيه نفسه من جديد » أن يتبين الانسان نفسه من جديد هذه هى رسالة الفن ووظيفته .. اذن الانسان فى العالم الواقعى لا يتبين نفسه .. انه غارق وسط الحشد ووسط الأشياء ، غارق فى الروتين اليومى ، مسلوبة ذاته ، وضائعة روحه .. انه يعمل .. وعمله من نتاجه .. يتخارج هذا العمل فى الخارج على شكل موضوعات .. انه يتموضع .. فاذا وجد الانسان امامه فى انتاجه وجد تكامله وحريته وانسانيته وأصبح يحيا فى بيته . واذا وقف نتاجه ضده ولم يحقق ذاته ولم يتبين فيه نفسه بل وجد نفسه غريبة فانه يتغرب ويتشيا ويفقد ذاته .. والفن لانه نتاج الحرية حيث لا ارغام على انتاجه هو صناعة انسانية يصنعها الانسان عن الانسان لصالح الانسان حتى يتبين فيه انسانيته .. والفن بهذا يكون قهرا للاغتراب وانتصارا للانسان على الأشياء .

ان الانسان عند هيجل مثل أشياء الطبيعة ، لكنه بجانب ذلك انه لنفسه ، انه يرى نفسه ويمثل نفسه امام نفسه ويفكر وبهذا النشاط يكون روحا . والانســان باعتباره اعلى حيوان للطبيعة ليس فقط تتويجا للطبيعة بل هو أجمل مخلوقاتها لان أمارات العقل اكثر وضوحا فيه وهو اكثر استقلالا عن بيئته ولهذا يلبى احتياجات الوحدة والتناغم الذاتيين..وهو لديه الحديث والاغنية من بين مواهبه ، وطاقة الروح فيه تشع من خلال جلده الرفيع .

وهناك رغبة لدى الانسان فى قهر كل ظرف لا يكون ملائما للحرية وهذه الحرية هى السلوك أو التصرف ازاء كائن موضوعى على أنه ليس غريبا • وهذا ما يتمثل فى الفن • ليس الفن محاكاة للواقع أو تعبيرا عن الواقع ••هذا ما يؤكده هيجل ويؤكده كل فلاسفة الجمال العظام •• فى الواقع يفقد الانسان حريته فى عالم الأشياء ولكن مع الفن لا نتعامل فحسب مع أشكال الحالة المتناهية • فالفن اذن هو التقاط اللامتناهى فى المتناهى •• التقاط الروحى فى تجسيد حى خارجى بحيث يمثل الانتاج أمام الانسان ويصبح مرآة •• الفن الانسانى يضعنا على أرض مختلفة تماما من تلك التى نواجهها فى الحياة العادية •• العمل الفنى ليس مجرد شىء حسى بل هو روح تتجلى من خلال وسيط حسى وعلى العمل الفنى أن يكشف لنا أساسا فى داخله أسمى مصالح الروح والقوة المؤيدة ، كل ما هو انسانى أساسا ويمتلك الثقل الحقيقى ، الأعماق الخاصة بالحياة الانفعالية للانسان • وتكمن الحاجة الكلية للتعبير فى الفن فى دافع الانسان العقلى لاستخراج العالم الداخلى والخارجى فى وعى روحى لنفسه كموضوع يتبين فيه نفسه •

وحتى يرتفع الفن من عالم الاغتراب الى عالم الروح والانسانية يلجأ الفنان لا الى مشاعره وأحساسيه بل الى عقله على أساس أن العقل فاعلية لالتقاط الجوهرى والارتفاع على فجاجة الواقع • وحتى الفكرة التى لا نفع منها والتى تدخل رأسى الانسان

أرقى من نتاج الطبيعة ففى هذه الفكرة تتبدى دائما الناحية الرواحية والحرية . والفن هو نتاج العقل ويمكننا أن نضيف انه العقل المفكر .

ينبهنا هيجل . ان من لم يمد مصالحه الروحية الى ما وراء هذه الحياة من خلال التوقان ومن خلال التوقع ومن خلال الشعور بما هو خالد ، ومن لم يحدق فى المجال الخالص للنفس فانه لا يمتلك فى نفسه ذلك العنصر الذى هو موضوعنا لاستيعابه . الفن اذن يرتفع على الواقعة المعطاة الفجة والشائعة والفن هو الطبيعة وقد أعيدت ولادتها . وهدف الفن هو أن يشلح مسادة حياتنا اليومية من ماديتها ومظهرها وهو بالنشاط الروحى من الداخل يحمل ما هو عقلانى ويجعل له تشكلا خارجيا صادقا . فالفن اذن ليس محاكاة ، واذا كان محاكاة فهو لا يستطيع أن ينافس الطبيعة واذا حاول منافستها فسيبدو أشبه بدودة تزحف وراء فيــل .

ان العمل الفنى كما يرى هيجل لا يكون هكذا الا لانه ينبع من الروح ، انه يمت الى أرض الروح وهو يتلقى تعميده مما هو روحى ولا يطلق الا ما تشكل فى انسجام مع الروح . ان الانسان يأخذ من نفسه ويضع امام نفسه ماهيتــه فالفن يحـرر المحتوى الحقيقى للظواهر من المظهر الخالص والخداع الخاص بهذا العالم الانتقالى ويعطيه واقعية أسمى وقد تولدت من الروح وان مهمة

الفن هى أن يرجع لاحساسنا وشعورنا والهامنا كل شىء له موضع فى الروح الانسانية . ان مهمته هى أن يوقظ ويحيى مشاعرنا وعواطفنا الهاجعة وأن يملأ القلب وأن يدفع الانسان بكل طاقاته الى الأمام نحو الفكر . وكل هذا يتم بقهر اغتراب الانسان وانفصاله وتناهيه وغرقه فى الجزئى والحسى والعرضى والوقتى .

ويهذا جعل هيجل الفن خطابا موجها للصدور المستجيبة انه نداء موجه للعقل والروح . والفن انما يدور برمته حول ايقاظ الفرح فى الانسان . وهو يشعر الجميع بالجميع .. ان هدف الفن قائم فى اثارة وبث الحيوية فى الانفعالات الحارة والتضمينات والعواطف ، فى ملء القلب وارغام الانسان على أن يستشعر المدى الكلى لنفس الانسان . وهو يستهدف الجمال الذى هو طريقة من الطرق التى يجرى من خلالها التعبير عن الحقيقة .

المراجـع

١ ـ أميرة حلمى مطر :
فلسفة الجمـال

٢ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
الاغتراب فى الفلسفة المعاصرة

٣ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
الانسان والاغتراب

٤ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
جدل الجمال والاغتراب

٥ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
دراسات فى علم الجمال

٦ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
موسوعة علم الجمال

٧ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
هيجل قلعة الحرية

٨ ـ ———— :
الجمال فى تفسيره الماركسى

9. Hegel :
Aesthetics.

10. Hegel :
Phenomenology of Spirit.

فرويد :

جـدل الـفن واللعب

سيجموند فرويد : لوحة خارجية :

(١٨٥٦ ـ ١٩٣٩)

ـ عالم نفس نمساوى أسس مدرسة التحليل النفسى التى تعد اشهر مدارس علم النفس •

ـ تخرج عام ١٨٨١ من جامعة فيينا كطبيب •

ـ يرى أن المحرك الأول للانسان هو دوافعه منذ الصغر حيث يعمل الليبيدو او الطاقة الحيوية والجنسية على توجيه سلوكه ولجـا الى التحليل النفسى كوسيلة للعـلاج من الكبت والعصاب والذهان •

المؤلفات الجمـالية

١٨٩٥ دراسات حول الهستريا

١٩٠٠ تفسير الأحلام

١٩٠٥ النكت وصلتها باللاشعور

١٩١٠ ليوناردودافشى وذكرى طفولته

١٩١٥ محاضرات تمهيدية فى التحليل النفسى

١٩٣٠ الحضارة واشكال سخطها

١٩٣٢ محاضرات جديدة فى التحليل النفسى

اذا كان الانسان طاقة غريزية وأن ثقافته هى تنفيث وتسام بهذه الطاقة الغريزية وأن الانسان يسير بعقده النفسية وعوامل الكبت فى الطفولة وأنه يهرب الى أحلام اليقظه والشطح الخيالى ويلجا الى اللعب افلن يترتب على هذا أن الفن تعبير جبرى عن هذه الطفولة المكبوتة والهرب الى الخيال واللعب ؟

هذا هو الأفق الذى يخيم على النظرية الجمالية لفرويد .. فالفن نتيجة الغريزة لا العقل .. وهو محكوم بالحتمية لا الحرية . ومقيد باللاشعور لا الوعى .. وهو هرب الى عالم الحلم واللعب وابتعاد عن تغيير الواقع ولهذا فان الانسان والفنان بالتالى لا يتحكم فى انتاجه بل ان انتاجه هو الذى يسيره .

منذ البداية وفرويد يعترف بعجز علم النفس وبالتالى عجز التحليل النفسى عن تفسير الفن . يقول : « ازاء مشكلة الشاعر على التحليل النفسى أن يستسلم عاجزا » فان أضيف الى هذا قوله : « الجمال مستمد من مجال الشعور الجنسى » فهل نتوقع ان نرى الا صورة غير علمية لتفسير الظاهرة الفنية ؟

ان هناك ادانة للانسان وللفنان عند فرويد لأنه يصوره عاجزا الم يقل : «الفنانون هم أناس لا يخضعون حياتهم الباطنية لسيطرة العقل الصارمة» ؟ والم يقل : «ان الفنان يفتح مصادر اللذة» ؟ بل انه ينص على أن الفن لا يتولد الا اذا اتجهنا نحو الغريزة :

« الفن يبزغ عندما نسمح لجهازنا العقلى أن يعمل فى اتجاه اللـذة » .

لقد حاول فرويد أن يفسر سر الابداع فقال .. « ان ميكانيزم الكفاية الابداعية هو نفسه ميكانيزم الشطحات الخيالية الهستيرية» ان الفن اذن مرض .. وهو يتنبه الى هذا فيحاول أن يخفف الأمر بقوله أن الفن على حافة العصاب ولقد شبه المبدع الفنان بانسان عنده بارانويا أو جنون العظمة حيث يحدث مرضه انفصالا للبيدو أو الطاقة عن الموضوعات ..

لقد كبل فرويد الفنان فى اطار مغلق فجعله انطوائيا .. فماذا يمكن أن يفعل هذا الانطوائى ؟ لما كان عاجزا عن تحقيق احتياجاته الغريزية المفرطة فىعالم الواقع فانه مضطر الى الابتعاد عن العالم الواقعى الى عالم الشطح الخيالى ومن ثم يتخذ الطريق الذى يفضى الى العصاب لكن العملية الابداعية تساعده على احداث بديل للطاقة الغزيزية ومن ثم يتم انقاذه من العصاب ويستعيد علاقته بالواقع .

انه حقا يستعيد علاقته بالواقع ولكنه يستعيدها وهو لم يزل مريضا والواقع لم يزل واقعا دون تغيير .. فالفن ليس تعبيرا عن واقع ولا أى واقع بل هو تعبير عن واقع الفنان نفسه بكل مكوناته السابقة وعلينا فى نظر فرويد أن نرتد الى الطفولة لنتبين الآثار الأولى للنشاط التخيلى .

ان الأنا عند فرويد هى نقطة الانطلاق لكنها مشبعة بالغريزة .. يقول :

« الروائى الذى يكون بطله أشبه بصاحب أحلام اليقظة يسمى هذا البطل صاحب الجلالة الأنا » وهذه الأنا لا تستهدف الفن من أجل الفن وتحقيق الوعى الجمالى بل لتحقيق أشياء خارجية عن الفن والجمال .. يقول : « ان للفنان مزاجا انطوائيا وهو لا يسقط فى اتجاه أن يكون عصابيا ، فهو انسان تدفعه الاحتياجات الغريزية ، وهو يتوق الى أن ينال الشرف والقوة والثروة والشهرة ومحبة النساء ، لكن تنقصه وسائل تحقيق هذه الأمجاد ، ومن ثم يرتد من الواقع ويحول مصالحه وكل اللبيدو الذى لديه الى خلق رغباته فى حياة الخيال الشاطح الذى يفضى الى الذهان » اذن الفن نتاج الغريزة وهدفه الانقاذ من العصاب فهو علاج لصاحبه فقط .. يقول فرويد : « العمل الفنى بالنسبة للفنان يعنى الخلاص من العصاب من خلال الاعلاء بالغريزة . هذا من جهة ومن جهة أخرى يعنى امكانية النجاح الواقعى الذى ينكر عليه » وتتبدى الصورة العلاجية للفن فى أنه فى نظره هو محاولة للتوفيق بين القوى المتصارعة ولهذا فله طابع توفيقى شأن الأخطاء والأحلام والمظاهر العصابية .

الرغبات غير المتحققة هى محركات الفن والفنان ، وكما فى الأحلام والشطحات الخيالية فان العمل الفنى يجسد هذه

الرغبات كانجاز ‥ ومن ثم يرى فرويد أن وراء وهم الفن حقيقة مكبوتة • ان الفنان لديه مطالب غريزية قوية غير عادية تحول طبيعته الانطوائية دون اشباعها ومن ثم يجب أن يعيش فى عالم خيالى على حافة العصاب •

والسؤال : كيف ينجح الفنان ولا يجنح الى العصاب ؟ ان الفنان الذى تكون اناه مفـرطة فى الحمل بالطاقة يتحـول من غرائزه القوية فى عالم الفن الخيالى • وبالرغم من أن الفنان ينخرط فى الأوهام ولا ينجح فى التمشى مع الواقع مثل الآخرين لديه وسيلة لطبع النجاح الواقعى من عالم خياله المتبخر •

ان هذا الهرب عند فرويد بالنسبة للفنان هو هرب الى اللعب والكاتب عنده يفعل بالضبط ما يفعله الطفل فى اللعب ، انه يخلق عالما من الفانتازيا يتناوله بجدية شـديدة ، اى انه يستثمره بينما يفصله عن الواقع • وعندما يشب الانسان عـن الطوق ويكف عن العالم فانه يقلع فحسب عن العلاقة مع الأشياء الواقعية ، وبدل ان يلعب يبدأ فى خلق فانتازيا فيبنى قلاعا فى الهواء ويخلق أحلام يقظة • وان لعب الاطفال انما يتحـدد برغباتهم ـ برغبة الطفل الخاصة وهى الرغبة التى ستنمو والتى تساعده على أن يشب • وهو يلعب دائما لكونه قد شب ، وفى اللعب يحاكى ما هو معروف له عن حياة الكبار • والآن لم يعد لديه سبب لاخفاء رغبته فمع الكبار الأمر مختلف ، فهو من جهة

يعرف انه من المتوقع ألا يعـود يلعب أو يحلم أحلام اليقظة بل عليه ان يشق طريقه فى عالم حقيقى · ومن جهة أخـرى فان بعض رغباته التى تنبع منها فانتازياته أو شطحاته الخيالية هى على نحو يجب اخفاؤه ومن ثم فانه خجل من شطحاته الخيالية باعتبارها طفلية وكشىء ممنوع ·

ان اللعب عند فرويد ليس اثمارا للشخصية الانســانية باكتشاف التحرر الكامن فى اللعب ، بل اللعب عنده فعل غريزى رغم انه بديل لفعل غريزى آخر فى عالم الطفولة ·· وبدل أن يكون اللعب هو الانســان حيث يلعب للمتعة وفق قوانين من ابداعه يصبح اللعب نتاج غريزته ويظل يسجنه فى هذه الغريزة دون تحرر ·· والعيب العيب : ان فرويد رأى أن الفنان جنس خاص أوتوقراطى بل رأى منذ البداية أنه لا يمكن استيعابه ولهذا لا يمكن قيام نظرية جمالية فرويدية حقيقية ما دام يعترف منذ البداية أننا ازاء لغز واننا عاجزون عن حله وما دام أيضا يعتبر الارادة أهم عنصر فى العقل فهل يمكن لارادة كامنة فى العقل أن تقيم أى تنظير وأى تفسير ؟ وأليس بهذا ينقطع خيط الجدل بين الفن واللعب ؟

المراجع

1. Devine And Others :

Encyclopedia of Twentieth Century Thinkers.

2. Edwards :

Encyclopedia of Philosophy.

3. Freud :

The Interpretation of Dreams.

4. Freud :

Majour Works.

6. Spector :

The Aesthetics of Freud.

7. Wintle :

Dictionary of Modern Culture.

كاسيرر :

جـدل الفن والرمز

ارنست كاسيرر : لوحة خارجية :

(١٨٧٤ ـ ١٩٤٥)

فيلسوف المانى من اتباع الكانتية الجديدة التى تمزج المعرفة بالتاريخ ٠

ـ درس بجامعات برلين وليبزج وهيدلبرج وماربورج ٠

ـ قام بالتدريس فى برلين أولا ثم فى هامبورج ٠

ـ ترك المانيا عام ١٩٣٣ هربا من الحكم النازى فتوجه الى انجلترا ثم السويد ثم امريكا وبها توفى ٠

ـ يرى ان كل الفكرة والوعى الانسانى له طابع رمزى وعنده ان الانسان هو حيوان رامز وحقا ان الانسان حيوان عاقل لكن هذا العقل قائم على أداء وظيفة الرمز حيث يضفى طابعا رمزيا على تجاربه ٠

المؤلفـات الجمالية

١٩٢٣ ـ ١٩٢٩ فلسفة الأشكال الجمالية

١٩٣٥ الرمز والأسطورة والثقافة

١٩٤٤ مقال عن الانسان

١٩٤٥ روسو وكانت وجوتة

الانسان هو حيوان رامز أو حيوان صانع للرموز وهذه الرموز شبكة معقدة من الأشكال والصور تعبر عن مشاعر الانسان واهوائه وآمـاله ٠٠ والرموز ليست مجمـوعة من الـدلالات أو العلاقات التى تشير الى بعض المعانى أو الافكار بل هى تعبيرات عن شبكة من الاشكال ٠٠ وليست الرموز أشكالا جامدة بل ان الانسان فى كل شكل رمزى سواء كان فنا أو لغة أو دينا او علما انما يكتشف ويبرهن على قوة جديدة الا وهى قوة بناء عـالم خاص به ، عالم مثالى ٠٠ أو بمعنى ادق خلق عالم مجرد آخر٠٠

ينظر كاسيرر الى الفن على أنه محاولة للهروب من هـذا العالم الضيق الضحل القائم على بعض المواصفات لكنه هروب يحتوى الفهم الأتم للأشياء فالفن يساعدنا على رؤية أشـكال الاشياء فالفن ليس مجرد نسخ لحقيقة جاهزة معدة من ذى قبل. بل هو سبيل من السبل العديدة التى تهدف الى تكوين نظرة موضوعية الى الأشياء والى الحياة ٠٠ أى أن الفن يهدف فى النهاية الى تقوية الواقع وزيادة شدته ٠٠

وكاسيرر يرى أن الفن مظهر من مظاهر الحضارة بما فيها الأسطورة والدين واللغة والتاريخ والعلم ٠٠ انه لغة من اللغـات الرمزية التى اصطنعها الانسان لفهم العالم ٠ وهو نشاط حضارى. لا يقتصر على نسخ الواقع أو محاكاة الطبيعة بل يقوم أصلا على تمثيل الواقع فى صورة مركزة ، وعلى الفن أن يأخذ بيد الطبيعة بحيث يعمد الى تصحيحها أو تكملتها ٠

ويحاول كاسيرر أن يربط الفن بالحرية والتنظير العقلى ..
يقول : الفن يحول كل الآلام والهياجات وكل ضروب الجور والمفظعات الى وسيلة لتحرير الذات وبذلك يعطينا حرية داخلية لا نبلغها بطرق أخرى . ويضيف قائلا : اننا لا نستطيع أن ندرك المعنى الحق والوظيفة الحقة للفن الا حين نرى الفن اتجاها خاصا أو توجيها جديدا لأفكارنا وأخيلتنا ومشاعرنا . فالفن أذن يعطينا صورة للحقيقة الواقعية أغنى واشد حيوية وأكثر ألوانا ، كما يمنحنا بصرا ناقدا فى مبناها الصورى .

ويرتب كاسيرر على هذا أن تكون للفن رسالة هى رسالة التطهير غير أنه يربط التطهير بالعقل لا المشاعر ولهذا يقول ان ما أسماه أرسطو تطهيرا لا يعنى تنقية وتصفية وتغييرا لطابع المشاعر نفسها وانما يعنى تغييرا فى النفس الانسانية فالنفس تحصل من الشعر التراجيدى مثلا على موقف جديد تجاه عواطفها هذا الموقف الجديد نتيجة رؤية عقلية تساعد على اكتساب نفس جديدة وعلى هذا فان الحرية الجمالية ليست غيبة العواطف ، ليست هى الجمود الرواقى وانما هى عكس ذلك تماما .. انها تعنى أن عواطفنا تبلغ أغنى قوتها وفى هذه القوة نفسها تتغير صورتها . بل ان الفن المسرحى مثلا يكشف اتساعا وعمقا جديدين للحياة وينقل وعيا بالأمور الانسانية والمقدرات الانسانية والعظمه والبؤس الانسانيين بحيث يظهر وجودنا العادى اذا قورن بها فقيرا تافها .

والفن يكشف بهذا عن قدرة الانسـان على التشكيل فهو لا يترك الواقع كما هو وانما يعمد دائما الى اعادة بنائه فالفن قوة مشكلة قبل أن يكون جميلا لأن فى الانسان طبيعة مشكلة تظهر نفسها فى فعالية • والعملية البنائية ضرورة لازمة لانتاج العمل الفنى وتأمله • وهذه القوة المبتدعة وهذه القدرة على بث الحياة فى الموجودات لا تبعد بنا كثيرا عن مدخل الفن اذ ليس يكفى أن يحس الشاعر (بالمعنى الكمين) للأشياء وانما عليه أن يكسب مشاعره وجودا خارجيا • والفنان يحطم مادة الأشياء الصلبه فى بوتقة خياله وتكون نتيجة هذه العمليات استكشاف عالم جديد من الصور • والفنان الحقيقى لا يدرس العالم المرئى بغرض الخضوع له وانما يدرسه بغرض تصفيته وتقطيره •

ويحذرنا كاسيرر من اعتبار الفن لعبا وان كان هناك تشابه بينه وبين اللعب ذلك ان اللعب يضع بين أيدينا مجموعة من الصور الوهمية فى حين أن الفن يزودنا بنوع جديد من الحقيقة: الا وهى حقيقة الأشكال الخالصة ، لا حقيقة الأشكال التجريبية وهو لا يهرب من مستلزمات الحياة بل هو يحقق طاقة من الطاقات العليا للحياة نفسها على أساس أن الظاهرة الجمـالية ظـاهرة باطنية فى صميم الكون • وفى اللعب نحن نترك وراءنا كما فى الفن كل حاجاتنا العملية الباشرة لكنهما ليسا صنوانا ، اذ يظل الخيال الفنى متميزا بحدة عن ذلك النـوع من الخيـال الذى يواكب فعالية اللعب لدينا • وما نفعل شيئا فى اللعب أكثر من أن نعيد ترتيب المواد وتوزيعها بحواسنا • اما الفن فانه بنـائى خلاق بمعنى أعمق تاكيدا لأن الانسان حيوان رامز •

المراجع

١ ـ زكريا ابراهيم :

فلسفة الفن فى الفكر المعاصر

٢ ـ كاسيرر :

فلسفة الحضارة

(ترجمة : احسان عباس)

٣ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

موسوعة علم الجمال

(4) Devine And Others.

Thinkers of The Twentieth Century

(5) Edwards :

Encyclopedia of Philosophy.

يـونج :

جدل الفن واللاشعور

كارل يونج : لوحة خارجية :

(١٨٧٥ ـ ١٩٦١)

ـ عالم نفس سويسرى ينتمى الى مدرسة التحليل النفسى

ـ يرفض مبالغة فرويد فى التركيز على الغريزة الجنسية

ـ دعا الى اتجاه خاص به هو علم النفس التحليلى واهتم بدراسة اللاشعور الجمعى ٠

المؤلفات الجمالية

١٩١٢ دراسة لتحول اللبيدو ورموزه

١٩٣٣ الانسان الحديث بحثا عن نفس

١٩٤١ مقالات عن علم الاساطير

يرجع كارل يونج الفن الى أنه ابداع صادر عن اللاشعور وهو ليس لا شعور الفرد بل لا شعور الجماعة والأمة منذ الأزمنة السحيقة .. وبهذه المحاولة نسف الفن وجدارته حيث أنه لايعتبره ابداعا قائما على الوعى والتدبر من اجل دفع عجلة التقدم وتاسيسا لانسانية الانسان بل جعله أشبه بانتاج يرتد الى الغريزة دون ما ارادة من جانب الفنان .

ولن يغرنا قوله : « الفن لا يقوم فى أنه مشحون بتفردات شخصية بل هو يثب ويعلو على ما هو شخصى ويتكلم من القلب والعقل ويتوجه الى قلب البشر » .. فأين يمكن أن نجد مكانا للعقل وسط اللاشعور ؟ والفن حقيقة يتجه الى قلب البشرية لكن يونج بحديثه عن اللاشعور فى الفن يجعله حقا يتجه الى قلب البشرية ولكن لكى يقتله .

ولن تخدعنا جمله البراقة .. يقول .. « ان ريشة الكاتب الأصيل كعصا الساحرة أرميدا تنبت فى اليباب القفر ربيعا زاهرا » ان الفن ينبت فى القفر من أجل أن يجعله مزهرا ولكن يتم هذا بالعقل ودراية الفنان برسالته وصنعته لا بحسه التلقائى جريا وراء لا شعور غامض مبنى على الأساطير والأحلام والخرافات فى ماضى الشعوب السحيق ..

ان نظريته الفنية مجرد خواطر تلقائية شأن طبيعة هذه النظرية وهو يعترف بأن علم النفس عاجز عن تفسير الظاهرة

الفنية والجمالية يقول : « لما لا يمكن لأى انســان ان ينفذ الى قلب الطبيعة فانك لا تتوقع من علم النفس أن يبذل المستحيل ويقدم تفسيرا صادقا لسر الابداعية • وعلم النفس شأن كل علم آخر ليس له سوى اسهام متواضع لكى يتجه الى فهم أعمق لظواهر الحياة وهو ليس أشد قربا من اخوته العلوم من المعرفة المطلقة» : فاذا كان ينكر امكان فهم الطبيعة وامكان فهم الانسان فانه بالتالى ينكر امكان فهم الفن • بل انه يشتط وينفى أن يكون للفن (معنى) على الأقل حسبما نفهم المعنى ، وربما هو مثل الطبيعة التى هى موجودة ولا (تعنى) شيئا يتجاوزها » •• ويؤكد هذا مرة أخرى بقوله : « الفن هو الجمال والشىء الجميل هو فرح للأبد وهو لا يحتاج الى معنى لأن المعنى لا شأن له بالفن » •• فاذا خلا الفن من المعنى فكيف نتحدث عن شىء ليس له معنى ؟

بل انه يجعل الفن حالة مرضية يقول : « الجنون الالهى للفنان يأتى قريبا من الحالة المرضية بالرغم من انهما ليســا متطابقين » •

ان منطلقات يونج الأساسية هى الغريزة •• الغريزة هى المحرك الأول للفن •• فهل الغريزة يمكن أن تخلق فنا ؟ واذا سلبنا المبدع عقله وارادته وتدبر رسالته فهل يمكن أن ينتج شيئا عظيما ؟ يقول : « الفن هو نوع من الدافع الفطرى والذى يستولى على الانسان ويجعله أداته ، والفنان ليس شخصا مزودا بحرية

الارادة يبحث عن غاياته لكنه شخص يسمح للفن أن يحقق أغراضه من خلاله وهو كفنان انسان جمعى للبشرية » .. الدافع الفطرى هو محرك الفن . ولهذا فاننا لانعرف للفن متجها ، ومتجها لصالح الانسان فقد يتجه الفطرى هذا الى القضاء على الانسان والانسانية .

ويؤكد يونج أن الفن حلم .. يقول : « العمل الفنى أشبه بالحلم فبالرغم من وضوحه الظاهرى لايفسر نفسه ولايمكن مساواته بأى شىء » .. فكيف يمكن لحلم أن يحقق شيئا للانسان وللانسانية ؟ ان اللاعقل هو الأفق المخيم على كارل يونج فى محاولته تفسير الفن والابداع .. يقول : « العملية الابداعية لها صفة أنثوية ، والعمل الفنى يصدر من الأعمال اللاشعورية ، من عالم الأمهات . وعندما تسود القوة الابداعية فان الحياة الانسانية يحكمها ويحددها اللاشعور ضد الارادة الايجابية والأنا الشعورية تذوب ولا تكون سوى ملاحظ عاجز للأحداث » اللاشعور ضد الارادة الايجابية فماذا تنتظر أن تكون صورة الفن اذن الا تدميرا للارادة الايجابية للانسان وتصبح الأنا الشعورية مجرد ملاحظ عاجز للأحـــداث ؟

والفنان عند يونج لا يلعب دورا فى عمله الفنى وكأنه مشاهد خارجى لانتاجه .. يقول : « الفنان هنا ليس مطابقا لعملية الابداع ، فهو يعى أنه ثانوى بالنسبة لعمله أو يقف خارجه كمـا

لو كان شخصا ثانيا » ولماذا (يعى) انه ثانوى اذا كان يونج قد جعله بالفعل ثانويا فى ابداعه لفنه ؟

الفن اذن منحدر الينا من عصور سحيقة ونحن لا نلعب دورا بالنسبة لذلك الذى ينحدر الينا ٠٠ يقول : « ان العمل الفنى مصدره ليس فى اللاشعور الشخصى للشاعر ، بل فى مجال الأساطير اللاشعورية التي صورها البدئية هى التراث المشترك للبشرية ولقد سميت هذا اللاشعور الجمعى للتفرقة بينه وبين اللاشعور الشخصى ٠ واللاشعور الجمعى ليس سوى امكانية انحدرت الينا من أزمنة سحيقة فى الشكل النوعى للصور المحاكية وان من يتحدث بالصور البدئية يتحدث بألف صوت » ٠٠ حقا انه يتحدث بألف صوت ولكنها كلها أصوات زائفة ولا نجد الصوت الحقيقى للفن ٠٠ صوت اعلان أن الجدارة فى الانسان ممارسة لعقله وحركة جدلية للتخلص من الأوهام والأحلام والأساطير الزائفة ٠٠ ويقول لنا يونج : « ان الفن باعطائه اللاشعور الجمعى شكلا انما يترجمه الى لغة الحاضر من ثم يجعله ممكنا بالنسبة لنا لكى نرتد الى الينابيع العميقة للحياة ٠ وهنا ع الدلالة الاجتماعية للفن : انه دائما يربى روح العصر » كيف يربى الفن روح العصر اذا كان هو مفتقدا الى التربية الحقة ؟ وحقا تكون له دلالة اجتماعية ، لكنها ستكون دلالة اجتماعية زائفة ٠

لقد جرد يونج الشاعر من كل حرية وكل عقلانية وكل تصميم وجعله اداة خادمة فى أيدى اللاشعورى الجمعى ·· يقول : « ان قناعة الشاعر أنه يخلق فى حرية مطلقة هى وهمه : انه يتخيل انه يسبح لكنه فى الواقع يوجد تيار غير مرئى يقذفه بعيدا » ·· الخلق فى حرية وهم ! انه اذن ليس حرا ·· فكيف يمكن لما ليس حرا أن يحقق حرية للآخرين ؟

وهكذا لانجد جدلا بين الفن واللاشعور بل نجد أن خيط الجدل مقطوع ·· وهذا الخيط نجده دائما مقطوعا مع كل محاولة تلغى كرامة الفنان وتلغى حرية المبدع وتنظر الى الفن على انه نتاج طبيعى مثل كل نتاجات الطبيعة لا رأى للفنان ولا حرية له فى ايجاده وبهذا ينقطع الجدل بين الفن واللاشعور ·

المراجع

1. Devine And Others.

Thinkers of The Tewntieth Centur>

2. Jung :

The Spirit In Man, Art And Literature.

3. Rader :

A Modern Book of Aesthetics.

4. Wintle :

Dictionary of Modern Culture.

لوكاتش :

جـدل الفن والشمولية

جورج لوكاتش : لوحة خارجية :

(١٨٨٥ ـ ١٩٧١)

ـ مفكر مجرى عمل وزيرا للثقافة ٠

ـ درس فى البداية القانون وشغف بالفلسفة والعلوم الاجتماعية وحضر عام ١٩٠٩ محاضرات جورج زمل فيلسوف الاجتماع ٠

ـ اشتهر كناقد أدبى وكفيلسوف للجمال ٠

ـ اشهر أعماله (التاريخ والوعى الطبقى) وفيه درس ظاهرة الاغتراب وما يرتبط بها من مشكلة التشيؤ ٠

المؤلفات الجمالية

١٩١٤ تاريخ تطور الدراما الحديثة

١٩١٦ نظرية الرواية

١٩١٧ علاقات الذات بالمضوع فى علم الجمال

١٩٣٣ دراسات فى الواقعية الأوربية

١٩٣٦ الرواية التاريخية

١٩٣٩ مشكلات الواقعية

١٩٤٥ مقدمة لكتابات ماركس وانجلز الجمالية

١٩٤٧ جوته وعصره

١٩٤٨ دراسات فى الواقعية

١٩٤٩ الواقعية الروسية فى الأدب العالمى

١٩٤٩ مقالات عن توماس مان

١٩٥٤ اسهامات فى علم الجمال

١٩٥٥ مشكلات المذهب الواقعى

١٩٥٦ مناهضة واقعية أسىء فهمها

١٩٥٦ الخصوصية بوصفها مقولة جمالية

١٩٥٧ فى الواقعية المعاصرة

١٩٦٦ خصوصية الجمالى

الفن تحرر من الممارسة اليومية . انه الشكل الموائم للتعبير عن وعى الجنس البشرى لذاته ، حقيقته هى حقيقة شعور الجنس البشرى بذاته . وفى مجال الفن ترجع روح الانسان الى ذاتها ويصبح الأدب نقدا للحياة والهدف هو الايقاظ الشعرى للناس .

هكذا حدد جورج لوكاتش رسالة الأدب والفن على أساس جملة من الفيلسوف اليونانى هيرقليطس الذى جعل للفلسفة رسالة هى الايقاظ .. ولهذا فانه ينظر الى الفن والأدب على أن محور هما الانسان .. يقول : « مهما كان أمر المنطلق لاثر أدبى فان فكرته المشخصة الهدف الذى يرمى اليه مباشرة وماهيته الأعمق تعبر دوما عن ذاتها بالسؤال الآتى : ما الانسان ؟

ينفى جورج لوكاتش ان يكون الفن تسجيلا للواقع أو لجزئيات الواقع لأن الفن نفاذ لما وراء الواقع .. انه ينفذ من السطحى الى الجوهرى ومن المظهر الى الحقيقة ومن الجزئى الى الكلى أو الشمولى ولهذا فان الفن هو خلق للحياة الشاملة وابداع للذات الجمالية الأوسع نطاقا من الذات الطبيعية أو الذات الأخلاقية .

وجورج لوكاتش شان الفلاسفة العظام فى مجال علم الجمال يحدد الفن برسالته ورسالة الفن هى خلق الانسان الشامل وانتاج واعادة انتاج وتطوير واستمرار وعى الناس والاحساس بالذاتية .

وأساس الأدب العظيم هو العالم المشترك للناس الأيقاظ • وهو عالم الناس الذين يكافحون في المجتمع ويعملون في كفاح مع بعضهم بعضا ومن أجل بعضهم بعضا وضد بعضهم بعضا وليسوا سلبين لا يحس أحدهم بوجود الاخر • وفي الفن تعود روح الانسان اليه ويصبح الفن تحررا من الممارسة اليومية ويوقظ الشعور بالانسانية • والفن العظيم هو الذي يؤكد تكامل الانسان من خلال رسمه لشريحة من الحياة لكنها تمثل كل الحياة • والفنان عند لوكاتش يصبح مرآة تعكس العالم وما تعكسه مرآة الفن هو وحدة البشرية •

ان ما يؤكده ويلح عليه جورج لوكاتش طوال رحلة فكره الجمالية هو ارتباط الفن بالشمولية •• ان الفن وان كان شريحة عن الحياة الا أنه كل الحياة فهو يلتقط في لمحة واحدة أن جوهر الانسان ليس في واقعه المباشر وأحادية نظرته وغرقه في عالم الأشياء بل يكمن جوهره في أنه يرفع الانسان الى الشمولية وان الانسان كل وأنه ممثل للبشرية ولهذا يبتعث الفن الامكانيات الغافية في الانسان وعلى هذا فان على الفن أن يثير تجربة الشمولية والعالم الذي يبعثه العمل الفني ليس عالما معطى بل عالما يخلقه الانسان ، عالما من خلقه ، عالم الانسان •

فما هي هذه الشمولية التي هي جوهر الفن ؟ انها هي أرض الجدل •• انها محاولة للارتفاع الى مستوى الانسانية وهذا يتم

عندما يلتقى الخاص بالعام فى لحظة الاستنارة والجزئية التى تلتحم فى شمولية الحياة لا يهم ما اذا كان الفنان قد شاهدها فى الحياة أو خلقها بالخيال من خلال تجربة مباشرة أو غير مباشرة. ولوكاتش فى هذا الصدد انما يرتد الى الفيلسوف الالمانى هيجل فهو يعتبر أن أول مطلب لعلم يتبدى فيه الأدب الملحمى الكبير هو مطلب (كلية الأشياء) .. وهذه الشمولية تتم بقهر الاغتراب فنرتفع على الأشياء الى مصاف الانسانية ويقصد لوكاتش بالاغتراب فى هذا الصدد الطريق المفضى من الذات الى العالم الموضوعى . ان الانسان لا يستطيع أن يعرف نفسه الا اذا عرف العالم المحيط به وبالتالى هو يعنى نفاذ الموضوع الجمالى مع الطبيعة الخاصة للذات ومع العودة الى الذات ومع تحقق الوعى الذاتى تكون لدينا تجربة العمل الفنى . ولكن يجب أن نؤكد أن تحقيق الوعى الذاتى يتضمن (عودة) فلا يمكن الحصول عليه بالاستبطان وحده بل يجب أن يتضمن معرفة بالعالم الخارجى .

فما وسيلة تحقيق هذه الشمولية فى العمل الفنى ؟ انهـــا النمط .. وجورج لوكاتش طوال كتاباته الجمالية يولى النمط اهمية كبرى فالنمط هو الأنموذج وهو البؤرة التى تلتقط اشعة الحياة الاجتماعية كلها . وهو تركيب خاص يربط العام بالفردى ربطا عضويا فالأنموذج لا يغدو أنموذجا الا لأنه وسيلة لا من أجل صفة الفرد مهما بلغ جلاؤها وحسب بل من جراء أن جميع لحظات مرحلة تاريخية ، لحظات أساسية ومحددة من وجهة نظر

انسانية واجتماعية تتقارب لديه وتتفاعل من جراء أن ابداع النماذج يظهر هذه اللحظات فى درجة تطورها الأسمى وفى أقصى أحوالها تحقق امكاناتها الضمنية ، فى التمثل ، وهذا يجسد فى الوقت ذاته ذروة كلية الانسان والعصر كما يجسد حدودهما .

بقول آخر ان النمط عن لوكاتش يتميز بصفتين : أنه يرتفع من الجزئى الى الكلى فله سماته الفكرية وأنه يعى المصير الفردى والعام حتى ولو كان وعيه ليس صحيحا تماما وانما هو يبذل أقصى جهده وهو بسماته الفكرية وادراكه للمصير يسير على طريق جدلى يرتفع به الى أرض الشمولية . ومن خلال عرض نمط من الأنماط فان الصفات العينية الكلية الجوهرية وما يضطرم به الانسان وما يتحدد تاريخا وما هو فردى وما هو كلى اجتماعيا يرتبط فى الفن النمطى . والنمط يسمح بحل الجدل بين الحقيقة والمظهر وهو يمتاز باتساع شخصيته ووعيه فى زمن الاضطراب وارتفاعه عن المستوى المتوسط فى عصره وعليه أن يعكس محاكاة للعملية التاريخية للشمولية وبهذا يتحقق الجمال الذى يعلن أن الانسان كل فالانسان الكلى وحده هو الجميل . والفن الصادق يأمل أن يعكس أكبر عمق وشمولية والتقاط الحياة فى شموليتها الشاملة فيكشف الحقيقة وراء المظهر . وان على كل فن كبير أن يعطى عن الواقع صورة يذوب فيها تعارض الظاهرة والماهية وتعارض الحال الفردية مع القانون وتعارض المباشرة مع المفهوم . وهذه التعارضات تذوب على نحو يجعل الطرفين المتعارضين عند

حساب الانطباع المباشر للأثر الفنى يتطابقان فى وحدة عليـة ويجعلهما يؤلفان بالنسبة للانسان الذى يلقاهما وحدة لا تنفصم عراها . والفنان وهو يعرض الناس الفرديين والمواقف المفـردة يوقظ وهم الحياة وهو يجعل عالمه يبرز على أنه انعكاس للحياة فى حركتها الكلية كعملية وشمولية بمعنى أنه يكثف ويتجاوز فى شموليته وفى جزئياته الانعكاس العام للأحداث فى الحياة .

ان الفن اذن عند لوكاتش يمتاز بانه مكثف بذاته وكامل لا يحيل الى غيره وهو يقرب الانسان للواقع ويربطه به ويجعل الانسان يستيقظ ويقظته هى تحقق الشـمولية التى هى تحقق لانسانية .

المراجع

١ ـ آرفون ، هنرى :

جورج لوكاتش

(ترجمة : عادل العوا)

٢ ـ لوكاتش :

دراسات فى الواقعية

(ترجمة .. نايف بلوز)

٣ ـ لوكاتش :

دراسات فى الواقعية الأوربية

(ترجمة : أمير اسكندر)

٤ ـ لوكاتش :

معنى الواقعية المعاصرة

(ترجمة : أمين العيوطى)

٥ ـ مجاهد عبد المنعم مجهاد :

جدل الجمال والاغتراب

٦ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

دراسات فى علم الجمال

٧ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

رحلة فى أعماق العقل الجدلى

٨ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة

٩ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد

موسوعة علم الجمال

١٠ ـ ويليك :

دوستويفسكى

(ترجمة : نجيب المانع)

11. Devine And Others :

Encyclopedia of Twentieth Century Thinkers.

12. Edwards :

Encyclopedia of Philosophy.

13. Lodge :

Twentieth Century Literary Criticism.

14. Lukacs :

Essays On Thomas Mann.

15. Lukacs :

Goethe And His Age.

16. Lukacs :

Writer And Critic And Others Essays.

17. Parkinson :

Georg Lukacs.

18. Parkings on (Ed).

Georg Lukacs. The Man, His Work And His Ideas.

19. Wintle :

Dictionary of Modern Culture.

هيدجر :

جـدل الفن والحقيقة

مارتن هيدجر : لوحة خارجية :

(١٨٨٩ - ١٩٧٦)

- فيلسوف المانى ينتسب الى الفلسفة الوجودية .

- ركز دراساته فى معنى الوجود العام وربط هذا بمعنى الوجود الانسانى حتى يخرج الانسان من حالة اغترابه وغرقه فى عالم الأشياء الى عالم الحرية بجعل الوجود يكشف عن طبيعته

- أهم كتبه (الوجود والزمان) الصادر عام ١٩٢٧ وفيه يرى أن الزمان هو حقيقة الوجود حيث أن الوجود هو ما لم يأت بعد فى الزمن المستقبلى .

المؤلفـات الجمالية

١٩٤٨ الوجود الانسانى والـجود العام

١٩٥٠ دروب الغابة

١٩٥٩ فى الطريق الى اللغة

١٩٧٥ الشعر واللغة والفكر

لقد غرق الانسان فى عالم الأشياء .. نسى نفسه وسلبته الأشياء نفسه . نسى حقيقة جوهرة ، وفقد انسانيته ، وفقد تواصله الانسانى ، وانفصل الانسان عن الانسان ، ولم يعد الانسان انسانا ، وطرد من ذاته فاصبح اللامأوى هو سكناه وهكذا اغترب الانسان .. ومارتن هيدجر يريد لهذا الانسان ان يعود الى جوهره وانسانيته وحدد رسالته ووسيلته فى هذا وهى أن نحل امتلاك الانسان للأشياء بدل امتلاك الأشياء للانسان .. والفن هو احدى الوسائل التى يلجأ اليها الانسان لكى يتحرر من رق الأشياء ..

فى عالم الأشياء الجزئية نكون فى العالم المزيف وعندما نصل الى الكل القائم على الحقيقة والحق نتحرر من هذا العالم الجزئى المتشىء ونصل الى ذروة الحرية ويتمكن الانسان من ان يجد مأواه الحق بدل أن يكون المطرود دوما .. فالمهم تأسيس الحقيقة وهذا التأسيس هو الوجود الحق وهذا الوجود الحق هو موضوع الفن ورسالته .

ان العمل الفنى عند هيدجرليس انتاج ذاتية جزئية تكون حاضرة فى أى وقت ، انه بالعكس انتاج الماهية العامة للشىء .. وسط التشتت الذى تحدثه الأشياء ليستخلص الفنان الكلى والحقيقى فهو اذن يجمع المفقود . اذن فى العمل الفنى هناك شىء ما آخر يتجمع مع الشىء المصنوع .. اذن جوهر الفن هو ان تكون

به حركة لكن هذه الحركة لا يجب أن تكون من الشىء الى العمل بل من العمل الى الشىء .. يجب أن يكون الاتجاه من الجوهرى الى الأشياء لنضفى عليها الجوهرى بدل أن نتجه من الأشياء فنطمس الجوهرى ونشيؤه .. وبهذا نصل الى حقيقة الوجود .. ولهذا فان الفن يفتح كوة ينفذ منها الوجود وتنفذ منها الحقيقة. فالعمل الفنى يفتح بطريقته الطريق لوجود الموجودات وهذا الكشف يحدث فى العمل .. فى العمل الفنى فان حقيقة ما هو موجود تعمل . ان الفن هو الحقيقة وقد أطلقت نفسها للعمل .

ان الفن اذا عبر عن الجزئى والحسى والسطحى غرق فى التشيؤ وعشنا حالة الاغتراب وبعدنا عن رسالته وجوهره ونكون ازاء فن مزيف .. وعلى هذا ينص هيدجر على أن الفن يعمل شموليا وكليا .. وبهذه الشمولية والكلية يقضى على الاغتراب ويقضى على الحالة الزائفة للأشياء ويحدث انفتاح الحقيقة وبانفتاح عالم فان كل الأشياء تكتسب ابتعادها ودنوها ، مداها ومحدودياتها ، وفيه تتجمع المسافات .. ان العمل الفنى يفتح المسافة التى هى تحرير والفن هو الاحتفاظ الخلاق بالحقيقة فى العمل . فالفن هو صيرورة وحدوث الحقيقة .. وهذا الحدوث هو فعل .. ان الفن صراع حتى تبزغ الحقيقة .. ذلك أن طبيعة الحقيقة هى الصراع الأولى الذى فيه يجرى كسب ذلك المركز المفتوح .. والعمل هو خوض المعركة حيث يجرى كسب لاتحجب الموجودات ككل .. ان عالم الأشياء حجاب والحقيقة مختفية خلف

الحجاب ولابدمن ازاحة حجاب الأشياء حتى تظهر فالحقيقه لا تمثل الا كصراع بين النور والاخفاء في التعارض بين العالم والأرض .. العالم رمز التكشف والأرض رمز التخفى .. والفن عند هيدجر بهذا كما تصوره الفنان دورر : « فى الحقيقة الفن يكمن خفيا فى الطبيعة ، ومن ينتزعه منها يمتلكه » .

ان هيدجر شان فلاسفة الجمال العظام يحدد الفن برسالته حيث أن ماهيته قائمة فى وظيفته ولهذا يقول : « ان العمل الفنى لا يكون له تاثير فعلى كعمل الا عندما نبعد انفسنا عن روتيننا اليومى ونتحرك الى ما ينكشف فى العمل حتى يجعل طبيعتنا الخاصة تتخذ لها مكانة فى حقيقة ما هو موجود » .. اذن هو انقاذ للانسان للخروج من حالة اغترابه .. وهذا يعنى أن يسكن الانسان بشاعرية على الأرض .. فليست الشاعرية تحليقا ولكنها تاسيس الجوهرى . فالعودة الى الجوهرى والينبوع والبيت والوطن هى عودة الى الانسان .. وهذه العودة هى عودة شاعرية لأن الشعر هو تاسيس لانسانية الانسان .. وطبيعة الفن كله هى الشعر وطبيعة الشعر هى تأسيس الحقيقة والتاسيس لا يكون فعليا الا فى الحفاظ والحفاظ هو اظهار الوجود بجعله يوجد .. ولهذا فانفتاح الوجود هو جوهر الحقيقة وجوهر الفن .. وبهذا تظهر الحرية .. وبهذا تمتلكنا الحرية لا أن نمتلكها ..

ويحذرنا هيدجر من الخبرة الجمالية فالخبرة عنده هى العنصر الذى فيه يموت الفن .. فالخبرة ذاتية والذاتية ضد الحقيقة لأن الحقيقة كلية لانها حقيقة الوجود الذى هو تكشف وتجاوز ولهذا فان طبيعةالفن هى هكذا : حقيقة الموجودات تطلق ذاتها فى العمل الفنى .. والعمل الفنى يفتح المسافة التى هى تحرير وبهذا يصبح الفن كله شعرا لأن الشعر هو انفتاح الوجود وهو الذى يحمل الانسان على الأرض ويحمله الى السكن . بل ان الشعر هو الاعتراف الأصلى بالسكن وعندما يظهر ما هو شاعرى الى النور حينئذ فان الانسان يسكن بانسانية على هذه الأرض . وكتابة الشعر ليست اساسا علة لفرح الشاعر ، بل بالأحرى ان كتابة الشعر هى نفسها فرح ، ابتهاج ، لأنه فى الكتابة تتالف العـودة الرئيسية الى البيت والى الوطن والى الينبوع والى البيت والى الانسـان .

المراجع

١ ـ جـرين :

هيدجـر

(ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد)

٢ ـ زكريا ابراهيم :

فلسفة الفن فى الفكر المعاصر

٣ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

الاغتراب فى الفلسفة المعاصرة

٤ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

الانسان والاغتراب

٥ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

جدل الجمال والاغتراب

٦ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

دراسات فى علم الجمال

٧ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة

٨ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
موسوعة علم الجمال

٩ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
هيدجر راعى الوجود

١٠ ـ هيدجر :
ما الفلسفة
(ترجمة : محمود رجب وفؤاد كامل)

١١ ـ هيدجر :
نداء الحقيقة
(ترجمة : عبد الغفار مكاوى)

12. Heidegger :
Basic Writings.

13. Heidegger :
Existence And Being.

14. Heidegger :
Poetry, Language, Thought.

فيشــر :

جدل الفن والمســتقبل

ارنست فيشر : لوحة خارجية :

(١٨٩٩ ـ ١٩٧٢)

ـ مفكر نمساوى ودارس للفلسفة وفلسفة الفن بجامعة جراز

ـ عمل صحفيا ومعلقا اذاعيا .

ـ عمل فترة وزيرا للثقافة .

ـ يؤمن بان الفن ضد الايدلوجيا لان الفن ارتفاع عن الحاجات المباشرة للحقب التاريخية .

المؤلفـات الجمالية

١٩٦٣ ضرورة الفن

١٩٦٦ الفن ضد الأيديولوجيا

يلتقط المفكر وفيلسوف الفن المعاصر ارنست فيشر الخيط من الكاتب المسرحى الألمانى برتولت بريخت :

الاحلام (واذا) الذهبية

تستحلف البحر الموعود

بحر القمح الناضج

ايها الزراع : قل عن الحصاد

الذى سوف تجمعه غدا

انه ملكك منذ اليوم

ويلتقط الخيط ايضا من قول الشاعر والفيلسوف الألمانى فريدريك شيلر :

انهض بجناحين

وحلق فوق عصرك

ودع المستقبل يشرق

ولو بضوء خافت فى مرآتك .

هكذا يريد فيشر ان يصبح الفن مرآة للمستقبل وانه رحلة نحو الآتى لا مجرد تسجيل للماضى .

انه يعرف الفن بوظيفته .. ان وظيفة الفن ليست أن يدخل الابواب المفتوحة بل ان يفتح الأبواب المغلقة ان الفن صناعة

انسانية يصنعها الانسان عن الانسان لصالح الانسان ·· لكن الانسان ليس هو مخلوق الكهوف وليس هو عابد الماضى والراكع تحت قدسيته بل هو المتحرك دوما بالأمل نحو المستقبل · ان الانسان مخلوق الطبيعة لكنه يزاحم الطبيعة فى عملها ويأبى بالعمل الا أن يعدل منها وفق أغراضه ولهذا يقول : هناك طبيعة مزدوجة للانسان اذ أنه مع استمرار انتمائه للطبيعة أوجد طبيعة مضادة أو طبيعة عليا · لقد أنشا من خلال العمل نوعا جديدا من الواقع وهو واقع حسى وفوق حسى فى الوقت ذاته ··

ان فيشر يدرك أن هناك مسافة بين الانسان والطبيعة وفى هذه المسافة يوجد الفن ·· وهذه المسافة مهما حاولنا عبورها ستظل قائمة ولهذا لن يختفى الفن أبدا وسيصبح ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها ·· يقول : « الانسان كائن تشكل ومازال يشكل نفسه وهو ناقص وغير كامل ولن يكتمل أبدا لكنه مع ذلك يشكل نفسه باستمرار اذ يشكل العالم المحيط به » ·

واذا كان الفنان موندريان يقول : « الفن يمكن أن يختفى عندما تصل الحياة الى درجة أعلى من التوازن » فان فيشر يدرك استحالة هذا فيقول : « وجود التوازن الدائم بين الانسان وعالمه أمر مستبعد ولهذا سيكون الفن ضرورة فى المستقبل كما كان فى الماضى » ·· ورغم وجود المسافة الا أن على الفن أن يعمل ولو يائسا لعبورها فالفن « اداة لازمة لاتمام اندماج الفرد مع

المجموع فهو يمثل قدرة الانسان غير المحدودة على الالتقاء بالآخرين وعلى تبادل الرأى والتجربة معهم » . اذن الفن اتصال وتواصل تحقيقا لمستقبل مشترك للانسانية .

حقيقة يرى فيشر أن الفن بدأ بالسحر لكنه يرى أن الفن قد قطع أشواطا كبيرة لكى يخرج الانسان من الكهف ويطل على رحابة العالم .. لقد خلط فيشر بين الفن والسحر فهو يرى ان الانسان وهو يريد أن يشكل الطبيعة ويغيرها كان منذ البداية ساحرا . فهو يقول : « السحر فى الخيال يقابل العمل فى الواقع والانسان من أول عهده ساحر » وهو يدرك الطبيعة المزدوجة الجدلية للسحر : « السر الكائن فى جذور الوجود الانسـانى نفسه يولد فى وقت واحد احساسا بالعجز ووعيا بالقوة ، خوفا من الطبيعة مع القدرة على السيطرة عليها . وهذا هو الجوهر الاصيل لكل من .

انه يلتقط الخيط من المفكر المعاصر المتخصص فى دراسة اليونانيات جورج طومسون الذى يدرك أيضا الطبيعة المزدوجة للسحر .. يقول طومسون فى كتابه (أخيل واثينا) : « ان السحر البدائى يقوم على الفكرة القائلة بان التحكم فى الواقع ممكن عن طـريق خلق صورة وهمية للتحكم فيه . ولكن لما كان السحر يتطلب القيام بعمل محدد ، فقد تضمن فكرة جوهرية هى ادراك أن العـالم الخارجى يمكن أن يتغير بتاثير الموقف الذاتى للانسان ازاءه .

ونجد مثلا أن الصيادين الذين تحدد الطقوس التمثيلية الصامته قواهم وتنظم صفوفهم يصبحون فى الواقع أقدر على الصيد مما كانوا قبل القيام بطقوسهم تلك » .. وهنا يكمن الخلط بين الفن والسحر .. فالسحر له وظيفة عملية مباشرة هى احداث التغيير فى الواقع الخارجى لكن الفن له وظيفة أخرى هى تزويد الانسان ببعد جمالى يوسع رقعة فهمه للواقع عن طريق التخيل . ويخفف الوقع أن فيشر نفسه يدرك جوهر التخيل وارتبساطه بالمستقبل .. فهو يقول : « الاعمال التخيلية تتنبأ بحالة متجددة للماضى » .. ويقول أيضا : « التخيل وهو يصدر فى عملية العمل فانه هو نفسه عملية عمل باطنية والمتخيل وهو الحاضر الذى لم يولد بعد ، الجديد ، ويطرح ويجرى التقاطه لا الماضى فقط بل المستقبل ويصبح قضية ، موضوع أصيل » .

والفن عند فيشر ينطلق من أرض الواقع لا ليظل حبيسا فيها وفى اللحظة التاريخية بل ينفذ من خلالها الى رحابة المستقبل : « ان كل فن هو وليد عصره وهو يمثل الانسانية بقدر ما يتلاءم مع الأفكار السائدة فى وضع تاريخى محدد لكنه يمضى الى أبعد من هذا المدى فهو يجعل من اللحظة التاريخية المحددة لحظة من لحظات الانسانية ، لحظة تفتح الأمل نحو تطور متصل » .

واذا كان الفن عند فيشر هو قرين السحر فانه أيضا قرين العمل .. فالانسان كائن يرفض أن يكون مجرد امتداد للطبيعة

فاخترع الآلات ليغير وجهها .. يقول فيشر : « ان الانسان لم ينشأ الا بظهور الأداة ، لقد جاءا الى الوجود معا » .. وهو يدرك أن اليد هى التى تكتسب الدور الاساسى فى الحضارة لأنها هى اداة تشكيل الواقع من جديد وهذه اليد هى التى سبق لفيلسوفه العصور الوسطى توما الأكوينى أن أسماها عضو الاعضاء وقال : « انما الانسان عقل ويد » .. ولما كان العمل يغير وجه العـالم ويزيد الانسان قوة فان الفن جـزء من العمل ولهـذا فهو يزيد الانسان قوة والوظيفة الأساسية للفن كانت فى الانسان القوة ازاء الطبيعة او ازاء العدو أو ازاء رفيق الجنس أو ازاء الواقع أو قوة لدعم الجماعة الانسانية وكان الفن فى فجر الانسانية سلاحا سحريا فى يد الجماعة الانسانية فى صراعها للبقاء .

ولقد قرن فيشر عمر الفن بعمر الانسان فهو يقول ان الفن صورة من صور العمل والعمل هو النشاط المميز للجنس البشرى . ويحدد العمل على أساس أن« الانسان يتحكم فى الأشياء ويجعلها ملك يده عن طريق تحويله اياها . والعمل هو عملية تحويل الأشياء الطبيعية ، لكن الانسان لا يعمل فحسب بل يحلم أيضا ، يحلم بالسيطرة على الطبيعة وتغيير شكل الأشياء بوسائل سحرية .

والفن عند فيشر يعلو دائما على الواقع ولا يوجد فن محاكى للواقع تماما . وهو يسخر من الفن المحاكى المقلد للطبيعة بمثل ما سخر الفيلسوف والشاعر الالمانى جوته فى دراسته عن «الحقيقة

والمحاكاة فى الأعمال الفنية » يقول مشيرا الى الرواية الشهيرة التى تروى عن اللوحة التى رسمها الفنان الاغريقى زيوكزس فى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد : « لا شك أنكم تذكرون تلك العصافير التى هبطت لتلتقط حبات العنب التى صورها الرسام العظيم . أفلا يؤكد ذلك أن حبات العنب رسمت رسما رائعا ؟ لا أرى غير ذلك على الاطلاق . بل انها تثبت لى أن تلك العصافير المغرمة بالعنب هى عصافير حقيقية . لكن هل يمنعنى ذلك من أن أعتبر اللوحة رائعة ؟ هل أحكى لكم حكاية أقرب عهدا ؟ اننى فى العادة أوثر الاستماع الى الحكايات عن الاستماع الى الكلام الجاد المبنى على الحجج والبراهين . كان أحد الأساتذة العظام الذين يدرسون الطبيعة يملك بين حيواناته الأليفة قردا ، وغاب القرد عنه فترة ، وبعد بحث طويل عثر عليه جالسا فى غرفة المكتبة . كان الحيوان جالسا على الأرض وقد تناثرت حوله النسخ المذهبة من كتاب شهير فى العلوم الطبيعية ودهش العالم لهذه الحماسة للدراسة التى بدت من جانب قرده العزيز . ولكنه عندما اقترب منه اكتشف بدهشة وانزعاج ان القرد التهم جميع الخنافس التى ظهرت رسومها فى بعض الصفحات » ويعلق فيشر على هذا قائلا .. « ولا شك أن القرد النهم قد اكتشف بدهشة وانزعاج أن الخنافس الحقيقية تفوق الخنافس المرسومة على الورق من ناحية المذاق ومن ناحية القيمة الغذائية ، أى اكتشف بعبارة أخرى أن الطبيعة تكون دائما أكثر طبيعية من الفن ، وأن الفن لا يستطيع ان يحقق فى هذا الصدد ما تحققه الطبيعة بمقدرة .

ومن هنا يتضح أنه لا يمكن ان يكون هدف الفن وغايته ان يعيد تمثيل الطبيعة ولا يمكن أن يكون معناه ومضمونه هو مجرد التشابه مع الطبيعة » ٠

الفن اذن تجاوز ، تجاوز نحو الانسانية ، ونحو المستقبل ٠ انه تشكيل واعطاء الأشياء شكلا وهو لازم للانسان حتى يفهم العالم ويغيره ٠

المراجع

١ ـ فيشر :

ضرورة الفن

(ترجمة أسعدر حليم)

2 Solomon :

Marxism And Art.

مالــرو :

جــدل الفن والتاريخ

اندريه مالرو : لوحة خارجية :

(١٩٠١ ـ ١٩٧٦)

ـ مؤلف وناقد ورجل دولة فرنسى ودارس للآثار وفيلسوف للفن ٠

ـ ولد فى باريس ودرس فى معهد اللغات الشرقية ٠

اهتم بدراسة الآثار فسافر الى الشرق الأقصى واهتم بالحياة السياسية فى لاوس والصين ٠

ـ اشترك فى الفيلق الدولى الذى حارب أسبانيا عام ١٩٣٦ دفاعا عن الجمهورية ٠

ـ كان له نشاط مضاد للحركات الفاشية ٠

ـ اشترك فى حركة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازى لفرنسا ٠

ـ اقترن اسمه بديجول وأصبح وزيرا فى حكومته عام ٤٥ ـ ١٩٤٦ ثم وزيرا للثقافة عندما أصبح ديجول رئيسا للجمهورية عام ١٩٥٨ ٠

المؤلفات الجمالية

١٩٤٦ مجمل سيكولوجية السينما

١٩٤٦ المتحف الخيالى

١٩٤٨ الفعل الابداعى

١٩٤٩ أفول المطلق

١٩٥٠ ساتورن : مقال حول جويا

١٩٥١ أصوات الصمت :

الجزء الاول : متاحف بلا جدران

الجزء الثانى : تحولات أبوللو

الجزء الثالث : العملية الابداعية .

الجزء الرابع : فى أعقاب المطلق

١٩٥٢ المتحف الخيالى للبحث العالمى

١٩٥٧ تحولات الآلهة

١٩٧٠ المثلث الأسود

١٩٧٤ الرأس الزجاجى الاسود

أعطى المفكر الفرنسى أندرية مالرو عنوانا لأهم كتبه هو (الحالة الانسانية) لأن بطل هذا العمل لم يعد يتبين صوته عندما استمع اليه مسجلا على شريط فالانسان دائما يستمع الى صوت الآخرين فلا يتبين صوته هو وهذا رمز لاغتراب الانسان . ولهذا تدور أعماله الروائية حوال سؤال واحد : ماذا يستطيع ان يفعل الانسان بحياته ؟ ان الانسان الغربى متروك وجها لوجه مع كون لا يستطيع أن يمت اليه ومالرو مغرم برسم صورة متماسكة للقدر والمصير وخضوع الانسان للتاريخ وانه مكبل باغلال الحضارة فان جوهره التحدى وتجاوز التاريخ والحضارة والمصير وهو يتحدى كل هذه الأمور فالانسان يريد أن يترك بصمته على العالم واحدى هذه البصمات هى الفن ، فهو نشاط انسانى فائق حيث أنه تجاوز لعبث الحياة وبالتالى يتحرر الانسان .

ان الانسان عند مالرو يتجاوز العالم الحيوانى والانسانية لا تتألف من قولنا : ما من حيوان كان يستطيع أن يصنع ما صنعنا بل من قولنا :لقد رفضنا أن نصنع ما اراد الحيوان الذى فى داخلنا أن نصنعه ، ونحن نريد أن نعيد اكتشاف الانسان باكتشافنا لما يسعى الى سحقه فى التراب . وثمة شىء أبدى يبقى فى الانسان الذى يفكر وهو شىء يسميه مالرو شطره الالهى وهو قدرته على أن يضع نفسه موضع التساؤل والانسان يبقى فى التاريخ لأنه اقدم من التاريخ . وليست الانسانية فى ان يقول الانسان لنفسه : انه هيهات لأى حيوان ان يفعل ما فعلت ، بل

الانسانية كلها أن يقول لنفسه : لقد استطعت أن أقول (لا) لما كان يريده الحيوان فى نفسى فأصبحت انسانا دون عون الآلهة ٠ وبهذا الفهم حدد مالرو رسالة الفن : انها تجاوز التاريخ لاالخضوع للتاريخ فالفن برهان على أن الانسان يستطيع به أن يتجاوز عرضيته ٠ ان الفن ليس خضوعا أو استسلاما ولكنه غزو وانتصار ، نشاط انسانى يتجاوز عبث الظروف وهو يرفع الانسان من عرضيته كما أنه قوة للهيمنة على القدر وتجاوز وخلق عالم ملائم لكل الناس الذين يتحررون بالتالى من الزمان والموت والضرورة العمياء ، وبهذا يشكل الانسان حريته ٠

ان الفن سلاح ضد العزلة ووسيلة للتواصل مع الحياة ، بل مع الموت أيضا ٠ وان أول من نحت شكل وجها انسانيا ، مجرد وجه انسانى قد حرر الانسان من الوحوش ومن الموت ومن الآلهة وفى ذلك اليوم شكل الانسان من طين الأرض ٠ وان أول عمل فنى كان أول انتصار للانسان على لا معقولية الكون وكان أول تحد للموت ٠

ان الفن عندما مالرو يتطلب نوعا من السيطرة على النفس والمتحف الخيالى يحفظ أغنية التاريخ لا شريط أبنائه ، فالفن ليس تسجيلا للواقع بل هو تحد للواقع للعلو عليه وتجاوز ٠ والبقاء هو الشكل الذى يتخذه انتصار الانسان الخالق على القدر ، والتماثيل فى المتحف الخيالى اكثر مصرية من المصريين واكثر

مسيحية من المسيحين وأكثر انسانية من الجنس البشرى حيث ان الفن يجسد حقيقة لا زمانية .

والفن بهذا هو انقلاب من الوضع الانسانى وهو نقـــل الصوت الباطنى للانسان وفنون الماضى ليست متحفا للذكريات، بل هى ذلك الصوت الداخلى للحضارة التى اندثرت . ان الفن دفاع ضد القدر وتمرد على قدر الانسان وهو درع ضد القــدر وكل فن حقيقى أو صادق يحل محل النظام القائم المستقر للأشياء نظاما جديدا من العلاقات . وان ما تبقى عليه الرائعــة الفنية ليس مونولوجا أيا كانت قوته ، انما هو حوار لا يفنيه الزمان . ولا يبدأ الفن بالطبيعة الا لينكرها .

والفن مظهر لسيادة الانسان فى كل زمان ومكان بحيث أنه حثيما وجد فن فلابد من أن يكون ثمة انسان متحرر منتصر . وعلى هذا فالفن ليس أحلاما بل هو تملك لناصية الأحلام .

وعلى هذا فالفنان ليس ألعوبة فى أيدى التاريخ بل هو يستطيع بفنه أن يعلو على التاريخ لأنه يملك القدرة على تعديل الواقع واعادة خلق العالم فالفن علاقته ليست بالواقع بل بالقضاء والقدر ليؤكد انتصار الانسان . ان نظر الفنان موجه نحو العالم الفنى اكثر مما هو مركز فى العالم الطبيعى والفنان لا ينظر الى الأشياء الا من أجل احالتها الى موضوع فنى . والفعل الأول

للفنان هو أن يغير من صميم وظيفة الأشياء • ان ما يجتذبنا الى العمل الفنى ليس هو كونه يصور الواقع أو يعبر عن الحقيقة وانما كونه ينقلنا الى عالم آخر هو وحده الذى ينتزعنا من الواقع

وعلى هذا فان تاريخ الفن هو تاريخ تحرر الانسان ونحن ننزع من الماضى الميت الماضى الحى الذى يضمه متحفنا الخيالى بين جدرانه •

حقا ان الفن هو موضوع أو شىء لكنه بالاضافة الى هـذا هو مواجهة مع الزمن ونحن مع خلق الفن نخلق أنفسنا وعلى كل فى مجاله ومن خلال مجهوداته أن يعيد خلق التراث وتفتيح عيون كل التماثيل العمياء وتحويل الآمال الى ارادة والتمردات الى ثورات وأن نشكل من أسى الانسان وعدا جديدا عظيما للبشرية فالابداع الفنى هدفه انتصار الانسان ولا ينبثق الفن عن استسلام للاشعور وانما ينبثق عن القدرة على السيطرة عليه وتوجيه وهذا هو الفارق بين الفن الحقيقى وفن المجانين •

وعلى هذا حدد مالرو وظيفة الفن • فى الأوقات التى يحس فيها الانسان بالاغتراب والوحدة يؤكد له الفن ذلك التواصل العميق مع اخوانه البشر • ان الفن تطهير • وتنقية وتصفية للعالم وهو يرفع راية الانتصار الأبدى على قدر الانسان • والفنان الحقيقى لا يدرس العالم المرئى بغرض الخضوع له وانما يدرسه بغرض تصفيته وتقطيره •

المراجع

ـ زكريا ابراهيم :

فلسفة الفن فى الفكر المعاصر

ـ فؤاد كامل :

اندريه مالرو

ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

موسوعة علم الجمال

4. Devine And Others :

   Thinkers of The Twentieth Century.

5. Edwards

   Encyclopedia of Philosophy.

6. Solomon :

   Marxism And Art.

7. Wintle :

   Dictionary of Modern Culture.

8. ——— :

   Penguin Companion To Literature.

كامـو :

جـدل الفـن والعبث

البيركامو : لوحة خارجية :

(١٩١٣ ـ ١٩٦٠)

ـ أديب وفيلسوف فرنسى ينتمى الى الفلسفة الوجودية .

ـ ولد فى الجزائر واشترك فى حركة المقـاومة الفرنسية للاحتلال النازى الألمانى لفرنسا وذلك باسهامه فى صحيفة (كومبا) لسان حال المقامة الفرنسية .

ـ حاصل على جائزة نوبل فى الآدب

ـ توفى فى حادث سيارة .

ـ تقوم فلسفته على أساس ان العالم خال من المعنى ولهذا فان جوهره العبث . ولكن علينا الا نستسلم له ونحاول أن نعطى العالم معنى .

المؤلفـات الجمـالية

١٩٤٢ أسطورة سيزيف

١٩٥١ المتمرد

يقول البيركامو : « لا يمكن انكار الحرب ، وعلى الانسان ما أن يعيش او يموت بسببها . وهكذا الشان بالنسبة للعبث ان المسـألة قائمة فى التنفس به ومعرفة دروسه واز حه النقـاب عن هذه الدروس . وفى هذا المجال يكون الفرح العبث الرائع هو الخلق . لقد قال نتيشة : (الفن ولا شيء عير الفن . ان لدينا الفن حتى لا نموت بسبب الحقيقة) » .

لقد نظر كامو الى الكون فرأى أنه خال من المعنى وان العدم والخواء والفراغ وفقدان المعنى يجثم عليه .. ومع فقدان المعنى يتولد الاحساس بعبث الوجود .. ان الاشياء تتكرر هى هى .. الاستيقاظ ، التوجه الى العمل ، الغداء ، العودة الى العمل . العشاء ، النوم وكل هذا يتكرر السبت الأحـد الاثنين الثلاثاء الأربعاء الخميس . انه التكرار والملل والسام .. ان العبث يحيط بنا .. فهل معنى هذا أن ننتحر ؟ ان الانتحار تاكيد لعبث الوجود لكن القبس الوحيد أمام الانسان هو أن يرفض الاستسلام للعبث ويرفض أن ينتحر وهنا يواجه العبث ويصبح نداله ويحـاول ان يضفى معنى على الوجود .. ان الوجود صخرة صماء . والآلهـة قد حكمت على سيزيف بطل الأسطوره القديمة أن يرفع صخرة دون ما انقطاع الى قمة أحد الجبال حيث تسقط الصخرة مرة اخرى بسبب ثقلها ـ لقد ظنت الآلهة انه لا يوجد عقاب انكى من العمل العقيم الخالى من الأمـل . ولكن البطل واع ، ادن اين سيكون عذابه حقا اذا كان الأمل فى النجاح يستحوذ عليه فى

كل خطوة ؟ وهنا يكمن كل فرح صامت لسيزيف • فمصيره يخصه هو وصخرته هى قدره هو وكذلك الشان بالنسبة للانسان العبث حين يتامل فى عذابه فانه يخرس الأوثان والانسان العبث يقول نعم ومن ثم لن تنقطع جهوده • والصراع نفسه نحو الأعالى يكفى ليملأ قلب الانسان • ويجب على المرء أن يتصور أن سيزيف سعيد •

ان الانسان العبث يقول نعم •• وكذلك الفنان •• انه يرفض ويتقبل •• يرفض هذا العالم باسم ما فيه من عبث وخلوه من المعنى وتفككه وفوضاه وهو يقبل هذا العالم باسم الوحدة والفنان لا يملك سوى التمرد على ما فى العالم من عبث باعادة تشكيل العالم تشكيلا فنيا منظما ، وهو يؤمن بما قاله نيتشه من أنه ليس ثمة فنان يستطيع أن يتحمل الواقع ، لكنه يؤمن أيضا بان الفنان لا يستطيع أن يستغنى تماما عن الواقع اذن الفنان يرفض ما فى العالم من نقص ورفضه ياتى من الواقع الجديد الذى سيبدعه وعلى هذا فان رسالة الفنان ليست سوى اشباع الحاجة الى الحرية والكرامة •

لقد حدد كامو للفن رسالته : الخروج من دائرة العبث بالتمرد وهو يدرك تماما أنه « فى كل تمرد يوجد مطلب ميتافيزيقى للوحدة - والمتمرد هو صانع للأكوان ، وهذا أيضا ما يحدد الفن وان مطالب التمرد هى فى جانب منها مطالب جمالية » •

التمرد فى صميمه بعد جمالى ٠٠ هذا هو جوهر نظرية كامو الفلسفية والجمالية على حد سـواء ٠٠ انه يدرك بدقة أنه « ليس من شك فى أن الجمال لا يصنع الثورات ولكن لابد من أن يجىء اليوم الذى تشعر فيه الثورات بحاجتها الى الجمال » ٠ ان الفن اذن نشدان للوحدة من خلال ادراك عبث الوجود وتجاوز هذا العبث عن طريق التمرد : « صحيح أن الفنان لا يستطيع أن يستغنى عن الواقع أو أن يتهرب من المجتمع ، ولكن الفن انما يعلمنا كيف ننشد ـ عن طريق التمرد ـ تلك الوحـــدة الحقيقية التى ينطوى عليها الواقع فى جانبه القدرى الذى نسميه الجمـــال ٠

بواقعية شديدة يقول كامو : « ان الفن لا يقدم خلاصا من المرض العقلى فهو بالأحرى أحد مظاهر هذا المرض الذى يعكسه فى جميع مناحى الفكر ٠ لكنه لأول مرة يجعل العقل يخرج من نفسه ويجعله فى مواجهة العقول الأخرى لكى يبين بجلاء الممر المظلم الذى وطئه الجميع » ٠

ان الانسان بالعقل يتمرد على العبث والتفكير على حد قول كامو هو خلق عالم وعلى الفن أن يعطى لنا منظوراً نهائيا على أساس من التمرد ٠

وهذا التمرد هو نوع من التجاوز وربما هناك تجـــاوز

حى حيث يحمل الجمال وعدا يمكنه ان يجعل هـــذا العالم الفانى والمحدود مقبولا واكثر تقبلا عن اى شىء آخر • وهكذا يقودنا الفن فى ارتداد الى أصول التمرد حيث يحاول أن يعطى شكلا لما له قيمة مفلاتة • ولهذا فان مطلب كامو من الفن هـو أن يعطى لنا منظورا نهائيا على أساس من التمرد • والكتابة فى الوقت نفسه اختيار • والاختيار هو جوهر التمرد الذى هو وحده يسمح لنا أن نامل فى المستقبل الذى حلم به نيتشة عندما قال : « بدلا من القاضى والمضطهد ، المبدع » والفن بهذا التمرد ضد العبث تاكيدا لأن الانسان هو واهب المعنى للعالم بهدف أن (يستحوذ) على الانسان •• وكامو ينقل عن هاملت بطـــل مسرحية شكسبير قوله : التمثيلية هى الشىء الذى سأتمكن به من الاستحواذ على ضمير الملك • ان (الاستحواذ) هى الكلمة الدقيقة لأنها تطلع الانسان فى داخل ضميره • والعمل الفنى هو الفرصة الوحيدة للابقاء على وعى الانسان وتثبيت مغامرته • والفنان فى هذا يكون شان سيزيف وهو يحمل صخرته متحديا الآلهة سعيدا بل انه يكون فى ذروة الســـعادة نظرا لتاكيد عدم استسلامه للعبث وتاكيدا لأن جوهره هو التمرد •

المراجع

١ ـ زكريا ابراهيم :

فلسفة الفن فى الفكر المعاصر

٢ ـ كامو :

أسطورة سيزيف

(ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد)

٣ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة

٤ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

موسوعة علم الجمال

5. Camus :

The Rebel.

6. Devine And Others :

Thikers of Twentieth Century.

7. Edwards :

Encyclopedia of Philosophy.

8. Wintle :

Dictionary of Modern Culture.

سارتر :

جــدل الفن والالتزام

جان بول سارتر : لوحة خارجية :

(١٩٠٥ ـ ١٩٨٠)

ـ فيلسوف وروائى وناقد وكاتب مسرحى وعالم نفس ومحلل سياسى فرنسى يعد أكبر الممثلين للوجودية ٠

ـ اشترك فى حركة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازى لفرنسا ٠

ـ يؤمن بأن الانسان مشروع وجوهر هذا المشروع هو الحرية فالانسان يوجد أولا ثم يصنع صورته بارادته ٠

ـ كما يؤمن بأن الانسان دائما فى موقف ٠ هو لا يصنع هذا الموقف ولكنه عامل أساسى فى تغيير هذا الموقف استنادا الى حريته التى هى المصدر الوحيد للقيم ٠

ـ اشتهر بروايته (الغثيان) ومسرحيته (الذباب) ومسرحيته (جلسة سرية) ٠

ـ اكسبه كتابه (الوجود والعدم) شهرة عريضة كفيلسوف وكمعبر أكبر عن الحركة الوجودية ٠

المؤلفات الجمالية

١٩٣٦ التخيل

١٩٤٠ المتخيل ، علم نفس ظاهرياتى للتخيل

١٩٤٦ الوجودية نزعة انسانية

١٩٤٧ بودلير

١٩٤٧ مواقف

١٩٥٢ جان جينيه كوميديا وشهيدا

١٩٦٣ مقالات فى علم الجمال

لنترك أدب القول لننتج أدب العمل .. هذه هى الصيحة التى أطلقها جان بول سارتر حتى يشترك الادب فى تغيير العالم فالأديب لا يجلس هادئا فوق قمة جبل البرناس بل هو مشارك فى الحقل الاجتماعى وعلى يديه أن يتسخا فالأيدى القذرة سمة له . وعند سارتر أن العمل الفنى يهدف الى تجديد شامل للعالم كله لأن الهدف الغائى للفن هو اعادة تنظيم هذا العالم لا بعرضه كما هو ولكن على تقدير انه صادر عن حرية الانسان .

يربط سارتر نظريته الجمالية حول معنى الأدب والفن بمفهومه عن الحرية على أساس أن الانسان صانع قرارات وأنه انسان فى موقف .. حقيقة انه لم يوجد فى هذا الموقف بارادته لكنه يستطيع أن يكون عاملا فى هذا الموقف وفى تغييره .. فالانسان عند سارتر مشروع ناقص متجه نحو المستقبل ونحو الحرية .. وأن الانسان ليس مجموع ما صنع بل مجموع ما لم يصنعه بعد .. فالانسان ملتزم بهذه الحرية .. الانسان عنده محكوم بالحرية لأنه لا يستطيع منها فكاكا وهى تكتسب فى موقف تاريخى محدد .

ولما كانت الحرية هى مصدر القيم عند سارتر وكان الفن ابداعا فى مجال عالم القيم الجمالية فان الحرية هى أساس الفن . والعمل الفنى قيمة لأنه دعوة موجهة الى القارىء . والعمل الفنى يكتسب خاصيته الجوهرية وهى انه مجرد اقتراح وهو لا غاية له ولكنه لا غاية له لأنه هو فى نفسه غاية ، وهى غاية

الحرية . والعمل الفنى من أى الجهات نظرت اليه هو شهادة بالثقة فى حرية الناس . والمرء لا يكتب للعبيد بل لأناس أحرار. وأيا تكن الأفكار التى تدعو اليها فسيزج بك الأدب فى الحرب فالكتابة طريق من طرق ارادة الحرية فمتى شرعت فيها ـ طوعا أو كرها ـ فانت ملتزم .

ان الفن اذ ليس نقلا للواقع ، فالفن تخيل ، والتخيل نفى فهو تعديم لما هو واقعى والجميل يعد انسحابا من الوجود وبهذا تتحقق الحرية ويصبح الفن نوافذ مطلة على العالم بأجمعه . وسارتر ينظر الى التخيل على انه نمط بديل للوعى موجهة للموضوعات نفسها ولكن باعتبار هذه الموضوعات لا وجود لها . فالوعى الانسانى الذى هو قصدية متجهة الى موضوع ينشىء فى حالة التخيل حالات لا واقعية بديلة . وعلى هذا يوجد الوعى بين التخيل ووظيفته نفى الواقع التى تعد جوهرية للوعى الانسانى وهنا تلعب الحرية دورها لتغيير العالم .

وعلى أساس هذه الحرية يرى سارتر ان الكاتب هو انسان حر يخاطب أحرارا آخرين وليس له الا موضوع واحد : الحرية. وفن النثر لا يمت الا الى نظام حيث يصبح للنثر معنى ألا وهو الحرية . وعمل الكاتب محصور فى الاعراب عن المعانى والفن لم يكن فى يوم ما فى جانب هواة الأسلوب . والأدب بهذا نداء

موجه الى حرية القارىء وهو حرية تتخذ الحرية غاية لها ووضع الأدب يصبح غرضها الحالى .

يربط سارتر الأدب بالحرية من ناحية المنبع فليس هناك انسان مضطر الى اختيار مهنة الكتابة لنفسه واذن فالحرية هى الأصل فيها . ووظيفة الكتابة أن تسمى الأشياء باسمائها . واذا كانت الكلمات مريضة فمرد الأمر الينا فى شفائها .

وواجب الكاتب ان يقدم صورة للعالم وان يشهد عليه ، كما أن واجبه هو ان يتخذ لنفسه موقفا ضد جميع المظالم من أى مصدر اتت ان وظيفته ليست ابهاج الجمهور ، بل الامساك به من خناقه واعادة تنظيم العالم على أنه صادر عن الحرية على أساس أن الاديب شاهد على العالم وعلى العصر . والهدف الغائى للأدب هو اعادة تنظيم هذا العالم لا عرضه كما هو ولكن على تقدير انه صادر عن حرية الانسان . والكتابة دعوة موجهة من الكاتب الى حرية القارىء لتكون عونا للكاتب على انتاج عمله والانسان وحده موضوع الأدب على أساس أن الانتاج الأدبى مشروع .

ولكن لماذا الكتابة أصلا ؟ يقول سارتر : « اننا نكتب لحاجتنا الى الشعور بأننا ضروريون بالاضافة الى العالم » بجانب المشاركة فى الحقل الاجتماعى . والأدب يكشف للناس موقفهم الخاص حتى

يأخذوه على مسئوليتهم . والكاتب لابد أن يتخذ موقفا وأن يصوب مسدسه على أهداف بعينها ولا يطلق الرصاص كطفل طائش . واذا أراد الصمت فان الصمت موقف ليس السكوت بكما ولكنه رفض للتكلم ، اذن فهو نوع من الكلام . فاذا اختار كاتب أن يمسك عن الكلام عن مظهر من مظاهر العالم أو بالأحرى اذا اختار ان يمر به فى صمت فلنا الحق أن نضع له سؤالا : لماذا فضلت فى الكلام هذا دون ذاك ؟

وهكذا حدد سارتر رسالة الكاتب والفنان بأنه التزام . وهو يسمى الكاتب ملتزما حينما يجتهد فى أن يتحقق لديه وعى أكثر ما يكون جلاء وأبلغ ما يكون كمالا بانه (مبحر) ، أى عندما ينقل لنفسه ولغيره ذلك الالتزام من حيز الشعور الغريزى الفطرى الى حيز التفكير . أى أن الالتزام عند سارتر له معنيان . معنى سياسى بأننا مشاركون فى الحقل الاجتماعى ومعنى فلسفى باننا بالرغم من أننا عرضيون فى الوجود الا أننا لازمون لهذا الوجود . ولهذا من حقنا أن نطلب من الناثر : ما غايتك فى الكتابة ؟ وفى أى مشروع تريد أن تطلق لنفسك العنان فى القول ؟ ولم يضطرك ذلك المشروع للجوء الى الكتابة ؟

لقد عدل سارتر من نظريته وفصل فن النثر عن بقية الفنون وقصر الالتزام على النثر لأن النثر مبنى على الدلالات على حين أن بقية الفنون الأخرى ومنها الشعر لا تقصد الدلالات بل تقصد

أن تصور اشياء فالكلمات فى أيدى الناثر ادوات لخلق معـان بينما الفنون الأخرى تستهدف الى انشاء كيانات ٠

والنثر عند سارتر يرسم صورة للانسان والناثر يجلو عواطفه حين يعرضها مدركا أن الكلام لحظة خاصة من لحظات العمـل وهذا ما يدركه الكاتب الالتزامى ويعلم أن الكشف نوع من التغيير وأنه لا يستطيع الكشف عن شىء الا حين يقصد تغييره ٠

والمرء لا يكتب للعبيد ٠ وفن النثر مرتبط بالنظام الوحيد الذى يحتفظ فيه النثر بمعناه : الديمقراطية ٠ وهذا يؤدى الى انشـاء أدب المواقف المتطرفة حيث يكشف الأبطـال عن اقصى ممارساتهم للحرية ٠

وهكذا ربط سارتر بين النثر والحرية والالتزام ٠ وهو يوجه رسالته لنا قائلا : « فليكن المؤلف كاتب رسائل أو مقالات أو هجاء أو قصصيا وليقتصر فى حديثه على عواطف فردية أو ليهاجم نظام المجتمع فهو فى كل احواله الرجل الحر يتوجه الى الأحرار من الناس وليس له سوى موضوع واحد : هو الحرية » ٠

المراجع

١ ـ اسماعيل المهداوى وآخرون :
سارتر مفكر أو انسانا

٢ ـ أميرة حلمى مطر :
فلسفة الجمال

٣ ـ زكريا ابراهيم :
فلسفة الفن فى الفكر المعاصر

٤ ـ سارتر :
ما الأدب ؟
(ترجمة : محمد غنيمى هلال)

٥ ـ كرانستون :
سارتر بين الفلسفة والأدب
(ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد)

٦ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
الاغتراب فى الفلسفة المعاصرة

٧ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :
دراسات فى علم الجمال

٨ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد

سارتر عاصفة على العصر

٩ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

علم الجمال فى الفلسفة المعاصرة

١٠ ـ مجاهد عبد المنعم مجاهد :

موسوعة علم الجمال

12. Edwards :

Encyclopedia of Philosophy.

13. Kern :

Sartre.

14. Thody :

Jean Paul Sartre.

15. Wintle :

Dictionary of Modern Culture.

للمؤلف

السلسلة الثقافية :

صدر منها :

١ ـ من القلق حتى الأمل .

٢ ـ جدل الجمال والاغتراب .

٣ ـ فلسفة الفن الجميل .

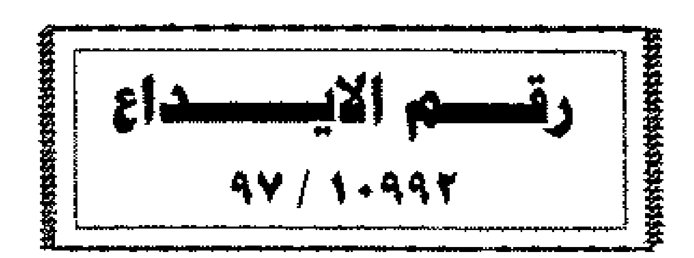
تحت الطبع :

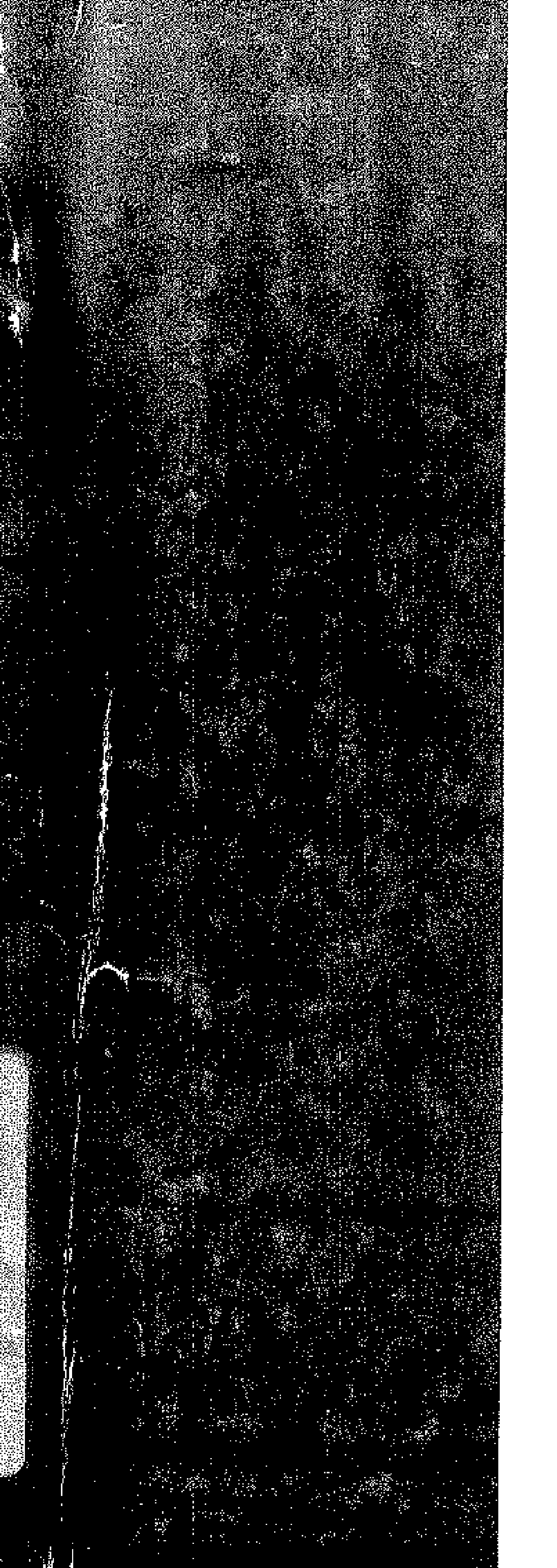
٤ ـ من الاغتراب حتى الفلسفة .

٥ ـ من الحب حتى الموت .

٦ ـ الفلسفة من البوابة الشرقية .

فهرس


رقـــم الايـــداع
٩٧ / ١٠٩٩٢



الناشر

دار الثقافة للنشر والتوزيع

٢ شارع سيف الدين المهرانى – الفجالة

ت : ٥٩٠٤٦٩٦ القاهرة